

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

فصلية علمية محكمة - تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

الفلسطينيون والهنود الحمر: دراسة عبر زمنية ومكانية لممارسة الإباداة الجماعية الدولية

أ.د عبد الله يوسف سهر محمد د. حسن عبد الله جواهر
قسم العلوم السياسية - جامعة الكويت



ISSN: 1560 - 5248

الرسالة ٥٤٦ - الحولية ٤٠

١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م (يونيو)

حواصت الآداب والعلوم الاجتماعفة

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

تصدر عن مجلس النشر العلمف - جامعة الكويت

فصلفة علمفة محكمة تتضمن مجموعة من الرسائل؁
وتعنى بنشر الموضوعات التي تدخل فف مجالات
العلوم الإنسانية والاجتماعفة.

الحولفة الأربعون
الرسالة السادسة والأربعون بعد المئة الخامسة
١٤٤١ هـ / ٢٠٢٠ م

هيئة التحرير

أ. د. يعقوب يوسف الكندري

رئيس هيئة التحرير

أ. د. محمد فلاح القضاة

قسم الإعلام

أ. د. مجدي عبد الحافظ صالح

قسم الفلسفة

أ. د. سند أحمد عبد الفتاح

قسم التاريخ

أ. د. جاسم سليمان الفهيد

قسم اللغة العربية وآدابها

أ. د. عبد المحسن الطبطبائي

قسم اللغة العربية وآدابها

أ. د. هشام فتحي جاد الرب

قسم علم النفس

أ. د. دهيفاء يوسف الكندري

قسم الخدمة الاجتماعية - كلية العلوم الاجتماعية

أ. د. تغريد القدسي

قسم دراسات المعلومات - بكلية العلوم الاجتماعية

د. ليلي محمد حكمت المالح

قسم اللغة الإنجليزية وآدابها

مها إبراهيم المسعد

مديرة التحرير

الهيئة الاستشارية

أ. د. منى بيكر

جامعة مانشستر - المملكة المتحدة

أ. د. باسل حاتم

الجامعة الأمريكية - الشارقة

الإمارات العربية المتحدة

أ. د. عبد القادر الفاسي الفهري

قسم اللغة العربية - جامعة محمد الخامس

أ. د. إبراهيم السعافين

قسم اللغة العربية - الجامعة الأردنية

أ. د. حمدي حسن أبو العينين

قسم كلية الإعلام - جامعة مصر الدولية

أ. د. إسماعيل صبري مقلد

قسم العلوم السياسية - جامعة أسيوط

أ. د. محمود السيد أبو النيل

قسم علم النفس - جامعة عين شمس

قواعد النشر

في حَوَلِيَّاتِ الآداب والعلوم الاجتماعية

- ١- تنشر الحَوَلِيَّاتُ البحوث والدراسات الأصلية باللغتين العربية والإنجليزية في مجال العلوم الاجتماعية والعلوم الإنسانية والآداب.
 - ٢- أن تمثل الدراسة إضافة جديدة في حقل التخصص.
 - ٣- لم يسبق نشر الدراسة بأي صورة كانت، ولم يسبق أيضاً تقديمها للنشر إلى جهة أخرى في أثناء ورودها إلى الحَوَلِيَّات. ويلتزم الباحث بكتابة إقرار وتعهّد بأن البحث المقدم لم يسبق نشره في أي وعاء نشر، أو أرسل إلى جهة أخرى.
 - ٤- ألا يقل عدد كلمات الدراسة عن (١٥٠٠٠) كلمة، شاملة المراجع والهوامش والجداول، (بحدود ٥٠ صفحة). وألا يزيد عدد الكلمات عن (٦٠٠٠) كلمة (في حدود ٢٠٠ صفحة).
 - ٥- يُقدّم البحث بالبريد الإلكتروني: (aass@ku.edu.kw) مكتوباً بواسطة مُعالِج النصوص Microsoft Word وعلى مسافة ونصف، وينط (١٤) Arabic Simplified. في حالة البحوث باللغة العربية، وعلى مسافتين، وينط (١٢) Roman New Times في حالة البحوث باللغة الإنجليزية.
 - ٦- يُرفق الباحث ملخصاً للبحث، مطبوعاً باللغتين العربية والإنجليزية، في حدود (٢٠٠) كلمة. على أن يحتوي ملخص البحث على: هدف الدراسة وأسئلتها، ومنهج الدراسة المستخدم، وأبرز النتائج المستخلصة، وأهم الاستنتاجات.
 - ٧- يُرفق الباحث مع البحث سيرة علمية مختصرة، مطبوعة باللغتين العربية والإنجليزية، تشمل أهم مؤلفاته وأبحاثه.
 - ٨- تُقدّم الخرائط والأشكال والرسوم (إن وجدت) بأصولها الصالحة للطباعة بصيغة JPG، وبمستوى دقة ٨٠٠×٦٠٠.
 - ٩- في حالة رغبة الباحث بنشر الصور أو الخرائط أو الأشكال البيانية الملونة، يلتزم بدفع تكاليفها.
 - ١٠- يراعي الباحث عند كتابة البحث الالتزام بأحدث نسخة من أحد النظامين:
أ - Modern Language Association MLA
ب - American Psychological Association APA
- يستخدم في البحوث والدراسات في مجال العلوم الإنسانية والآداب نظام MLA، والبحوث في مجال الدراسات الاجتماعية نظام APA، من حيث كتابة المراجع والهوامش في متن البحث، أو في قائمة المراجع.
- أولاً: في الدراسات في مجال العلوم الإنسانية والآداب، يمكن كتابة المرجع على نظام MLA على الوجه الموضح أدناه:
- ١ - الهوامش: - توضع الهوامش في نهاية البحث في حالة عدم وجود فصول.
 - ترتب أرقام التوثيق بطريقة متسلسلة حتى نهاية كل فصل، أو حتى نهاية البحث في حالة عدم وجود فصول.
 - تثبت الهوامش عند ذكرها لأول مرة كاملة على النحو الآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب (بالبنط الأسود)، رقم الجزء، رقم الطبعة، اسم الناشر، مكان النشر، سنة النشر، رقم الصفحة.
- مثال: (ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، جزء ٢، ط ١، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦، ص ١١٦).
- ٢- المراجع:
- (فؤاد زكريا، آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة، ط ١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٧٥، ص ١١).

ويمكن الرجوع إلى العديد من المواقع التي توضح عملية استخدام المراجع، منها:

[quickguide/mla/com.libguides.irsc:http](http://quickguide/mla/com.libguides.irsc)

ثانيًا: في مجال العلوم الاجتماعية، يمكن كتابة المراجع على الوجه الموضح أدناه (APA):

١- كتابة المرجع في المتن: اسم العائلة للمؤلف متبوعًا بفاصلة، ثم سنة النشر. (يُرجى الرجوع إلى دليل التوثيق وفقًا لنظام APA لمزيد من التفاصيل)

مثال: (Cortois, 2001)

٢- قائمة المراجع: يُرجى الرجوع إلى دليل التوثيق وفقًا لنظام APA للتفاصيل.

مثال:

Jones, J. (2005). Writing with style. Style Writing Journal, 12 (6), 1433-.

<http://www.apastyle.org>

ويمكن زيارة موقع:

لمعرفة القواعد الخاصة بهذا النظام.

١١- يجب أن تشمل جميع البحوث على قائمة المراجع كاملة في نهاية البحث، على أن يكون بنط الكتابة بالنص الروماني (Roman Script).

١٢- لمعرفة قواعد وأخلاقيات النشر رجاء مراجعة موقع الحوليات الإلكتروني.

شروط قبول البحوث في الحوليات:

أ - لا تقبل الحوليات البحوث التي سبق نشرها بأي طريقة.

ب - لا تقبل المجلة نشر أبحاث الماجستير أو الدكتوراه أو أي مستلآت منها.

ج - لا تُرد ولا تُسترجع أصول البحوث المقدمة للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر.

د- لا يجوز نشر البحوث في جهات أخرى بعد موافقة الحوليات على نشرها. وإذا ثبت ذلك؛ فستتخذ إدارة الحوليات الإجراءات القانونية المتبعة بهذا الشأن.

هـ- يمكن للباحث نشر بحثه في جهات أخرى، بعد الحصول على إذن كتابي سابق من رئيس التحرير، وبعد انقضاء ثلاث سنوات - على الأقل - على نشره في الحوليات.

و- يُعرض البحث الذي تتوافر فيه القواعد المذكورة سابقًا، بعد موافقة هيئة التحرير، على مُحكمين لتقرير مدى صلاحية البحث للنشر في المجلة.

و- تمنح المجلة للباحث خمسين نسخة من بحثه المنشور، كإهداء.

تُرسل البحوث وجميع المراسلات الخاصة بالحوليات إلى رئيس التحرير عن طريق البريد الإلكتروني للمجلة.

رئيس تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية

ص.ب: ١٧٣٧٠ الخالدية

رمز بريدي: 72454

الكويت

ISSN 1560 Key title: Hawliyyat Kulliyyat al-Adab

<http://apc.kuniv.edu.kw/AASS>

E-mail: aass@ku.edu.kw

افتتاحية الإصدار الرابع من الحولية الأربعين - يونيو ٢٠٢٠

بقلم رئيس التحرير: أ.د. يعقوب يوسف الكندري

يصدر هذا العدد والعالم يمر بأزمة وجائحة عالمية لم يُعرف بعد مداها وانتهاء انتشارها؛ فما زالت البيانات الكمية تشير إلى تزايدها وعدم وجود علاج معتمد خاص بها أو مصل وقائي يحد من هذا الانتشار ويخلص العالم منه، وإن كان هناك علاجات وأدوية قادمة في الطريق كما تشير الدراسات المكثفة. فهي الوباء الأكبر من حيث الانتشار الذي مرّ بالمعمورة، وإن كان عدد الوفيات من جراء هذه الجائحة لا يقارن بأعداد الأوبئة القاتلة السابقة، فإن هذا الانتشار العالمي وهذا التزايد في الأعداد وطريقة التعامل مع هذا الفيروس المجهول وصعوبة التوقعات - قد تجعل من هذه القضية مدعاة للتفكير فيما بعد زوال الجائحة وذهابها؛ ماذا بعد الجائحة على كافة المستويات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية؟ سؤال يفترض أن يثير اهتمام الباحثين في جميع مجالات العلوم؛ كيف يمكن أن يتغير العالم في أطره ومفاهيمه وتفاعلاته وتعاملاته؟ كيف يمكن أن نتوقع تأثير ما سوف تخلفه هذه الجائحة؟ ولعل فريق المتشائمين من يشير إلى أن العالم سوف يتغير ويكون أكثر ريبة، ويذهب البعض إلى جانب متطرف وهو انتشار فيروس آخر قد يكون أشد خطورة وفتكاً، في حين ينظر الفريق المتفائل إلى أن هذا الحدث سينتهي كما انتهى غيره من الأوبئة السابقة، وهذه الجائحة من الممكن أن تفتح أفقاً للطريقة المناسبة للتعامل مع الفيروسات الأخرى بعد ما مرّ المجتمع العالمي بخبرة نسبية في التعامل مع هذا الحدث العالمي. وعلى أي حال من الأحوال وبأي نظرة، سواء أكانت تفاؤلية أم تشاؤمية؛ فإن الذي لا مجال فيه للشك هو أن هذه الجائحة قد أثرت في كثير من المفاهيم الاجتماعية، وسوف تمر المجتمعات الإنسانية نتيجة لتداعياتها بعملية تغير استناداً واستجابة لهذه التداعيات. ولا شك أن التغيرات سوف تتفاوت في درجتها وقوتها وتأثيرها من مجتمع لآخر نتيجة لعوامل مختلفة، وخصوصية كل مجتمع على حدة، ومدى انتشار هذه الجائحة فيه وطريقة التصدي لها، ونجاحه أو فشله في هذا التعامل. ولكن بكل تأكيد أن العالم كله سوف يمر بعملية تفاعل مع المستجدات التي ستخلفها هذه الجائحة، وستتولد أشكال جديدة من العلاقات

والتفاعلات: قضايا التركيبة السكانية، والتعليم، والتكنولوجيا، الأمن الغذائي، والصحة، وغيرها من المكونات الأساسية للبناء الاجتماعي، من المؤكد أنها ستتأثر وستمر بعملية تغيير اجتماعي سريع نتيجة لهزة أثرت في كيان هذا البناء.

خُصصَ هذا العدد من الحوليات للدراسات الاجتماعية والسلوكية من خلال خمس رسائل، إضافةً إلى رسالة في مجال الصرف والدلالة: فقد جاءت الرسالة (٥٤٤) عن أوجه التحديات التي تواجه المسنين في سلطنة عمان، واستُخدمت محافظة مسقط أنموذجاً لهذه الدراسة. وهذه الدراسة هي للباحثين منير كرادشة وحليمة عامر الغافري من مركز البحوث الإنسانية في جامعة السلطان قابوس بسلطنة عمان. أما الرسالة (٥٤٥)، فهي للباحث محمد قاسم محمد حسين من وزارة التربية في دولة الكويت، وهي دراسة عن التكامل الدلالي للصيغ الصرفية في القراءات العشر القرآنية، اعتمد فيها الباحث على سورة المائدة أنموذجاً في دراسته الصرفية الدلالية. وأما الرسالة (٥٤٦)، فهي للباحثين عبد الله يوسف سهر محمد وحسن عبد الله جوهر من قسم العلوم السياسية في جامعة الكويت، وكانت عبارة عن دراسة عبر زمنية ومكانية لممارسة الإبادة الجماعية الدولية، مقارنين فيها وضعي الفلسطينيين بالهنود الحمر. وجاءت الرسالة (٥٤٧) ميدانيةً للمعوقات والتحديات التي تواجه المنشآت الصغيرة والمتوسطة في دول مجلس التعاون الخليجي، للباحثين فيصل المناور ومنى العلبان من المعهد العربي للتخطيط. وكانت الرسالة (٥٤٨) في مجال العلوم السياسية للباحث فيصل مخطط عبد الله أبوصليب من قسم العلوم السياسية في كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الكويت، وهي بعنوان: دور الوساطة في سياسة الكويت الخارجية (١٩٦١ - ٢٠١٩). وأما الرسالة الأخيرة في هذا العدد (٥٤٩)، فهي رسالة باللغة الإنجليزية في المجال المعلوماتي للباحث عمّار حسن صفر من كلية التربية بجامعة الكويت، وهي دراسة عن اتجاهات طلبة جامعة الكويت ومستوى إلمامهم ومدى استخدامهم ودرجة رضاهم نحو الكتب الإلكترونية.

وأخيراً، نأمل أن يكون هذا العدد قد جاء بموضوعات مهمة تُسهم في إثراء المعرفة، متطلعين إلى مزيد من البحوث والدراسات الأصيلة التي تحرص عليها حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، راجين للجميع قراءة ممتعة لهذا العدد وما جاء فيه من رسائل مميزة.

الرسالة ٥٤٦

الفلسطينيون والهنود الحمر: دراسة عبر زمنية ومكانية لممارسة الإبادة الجماعية الدولية

عبد الله يوسف سهر محمد حسن عبد الله جوهر
قسم العلوم السياسية - جامعة الكويت

حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية - الحولية الأربعون ١٤٤١هـ / ٢٠٢٠م

المؤلف:

عبدالله يوسف سهر

- درجة دكتوراه الفلسفة في العلوم السياسية، التخصص العام في العلاقات الدولية، التخصص الدقيق في التنظيم الدولي، جامعة كنتاكي University of Kentucky ولاية كنتاكي، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٩٤
- درجة الماجستير في الآداب، تخصص الشؤون الدولية، جامعة ولاية فلوريدا Florida State University، ولاية فلوريدا، الولايات المتحدة الأمريكية، ١٩٨٧
- درجة البكالوريوس تخصص العلوم السياسية، جامعة الكويت، الكويت، ١٩٨٥

التخصص والاهتمامات العلمية

- العلاقات الدولية - التنظيم الدولي والمنظمات الدولية غير الحكومية.
- الاقتصاد السياسي الدولي.
- إستراتيجيات دولية.
- الأمن منطقة الخليج والشرق الأوسط.
- نظريات العلاقات الدولية.

البحوث والدراسات

- 1- Yemeni Unification from Dream to Nightmare: Failure of the Elites' Approach. The Korean Journal of Area Studies. Volume 8. (1994) P.P. 61-74.
- 2- Lessons From The Gulf War For The United Nations. The Center of the Gulf and Arab Peninsula Studies. (1996), Vol. 1. P.P.315-382.
- ٣- الخليج والمحاولات العالمية للهيمنة على منابع النفط. مجلة السياسة الدولية (١٩٩٨)، العدد ١٣٣، ص. ٨-٥٠
- ٤- السياسة الخارجية الإيرانية: تحليل صناعة القرار، مجلة السياسة الدولية (١٩٩٩)، العدد ١٣٨، ص. ٨-٣٢
- ٥- دراسة اتجاهات طلبة جامعة الكويت حول عودة العلاقات مع دول الضد "دراسة ميدانية" المستقبل العربي (١٩٩٩/٧)، العدد ٢٤٥، ص. ٨-٣٢
- ٦- مؤسسات الاستشراق والسياسة الغربية تجاه العرب والمسلمين. دراسات إستراتيجية - العدد (٥٧) ٢٠٠١، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، أبو ظبي.
- 7- The Internationalization of Islamic Threat to the New World Order: A Revised Image. The American Journal of Islamic Social Sciences. (2002), No.(1)
- ٨- السلام بين العرب وإسرائيل: البعد الثاني من الرأي المعارض. مجلة السياسة الدولية، (٢٠٠٢)، العدد ١٥٠، ص. ٢٢-٤٥
- 9- Roots of Terrorism in the Middle East: Internal Pressures and International Constraints (2005). In Root Causes of Terrorism: Myths, reality and ways forward, edited by Tore Bjorgo.
- ١٠- الأمن والتدخل الخارجي في الشرق الأوسط (دراسة في تطور العلاقات الدولية). مجلة السياسة الدولية (٢٠٠٥)، العدد ١٦٠، ص. ٨-١٧.
- 11- Conceptualization the Dialogue among civilizations: Towards an Effective Dialogue. (Autum, 2007) Journal of Strategic studies, Vol. 3, No. 8, P.p: 9- 28
- ١٢- دوافع التدخل العسكري الأمريكي في العراق. السياسة الدولية (٢٠٠٧)، العدد ١٧٠، ص. ٢٤-٣٣
- ١٣- جدلية العولمة وفلسفة نهاية التاريخ: دراسة استشرافية لعلاقات الاقتصاد السياسي الدولي في مرحلة ما بعد النظام العالمي الجديد (٢٠٠٩)، المجلد ٣٧، العدد ١.
- 14- Energy Security in the Arab World (2009) chapter 29 in Facing Global Environment Change. Edited by Hans Gunter Brauch. Springer: Berlin – Heidelberg – New York.
- ١٥- أدوات ووسائل تسوية المنازعات داخل الاتحاد الأوروبي مقارنة بمجلس التعاون الخليجي وجامعة الدول العربية. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية- جامعة الكويت - (٢٠١٠)، الحولية ٣- الرسالة ٣١٦
- 16- An Assessment of the Record of the Japan-Muslim World Dialogue among Civilizations and its Future Implications, Asian Journal of Political Science, (2015)
- ١٧- الأمن الوطني الكويتي: المنظور السياسي الشامل في ظل المتغيرات المحلية والدولية. دراسة مشتركة مع الدكتور عبد المحسن جمال. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية. (٢٠١٨)، الرسالة ٤٩٦.

المؤلف:

د. حسن عبد الله جوهر

- دكتوراه في العلوم السياسية (١٩٨٩)، جامعة ولاية فلوريدا.
- أستاذ مساعد بقسم العلوم السياسية، جامعة الكويت

الإنتاج العلمي:

(أ) الأبحاث العربية:

- ١- الجيل والانتقال الديمقراطي في دول مجلس التعاون الخليجي: دراسة استشرافية في تحولات التركيبة الديمغرافية. حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية (جامعة الكويت)، الحولية ٤٠، الرسالة ٥٣١، سبتمبر ٢٠١٩.
- ٢- الأمن الفكري والتطرف الديني في دول الخليج العربي: إشكالياته وإستراتيجيات تعزيزه. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (جامعة الكويت)، المجلد ٤٥، العدد ١٧٤، يوليو ٢٠١٩ (ص ٢١-٦٤).
- ٣- التأثير المتبادل بين بنية النظام الدولي وسياسات القوى العظمى: إدارة الرئيس جورج بوش الابن نموذجاً. مجلة كلية الآداب: الإنسانيات والعلوم الاجتماعية (جامعة القاهرة)، المجلد ٧٩، العدد ١، يناير ٢٠١٩ (ص ١٠١-١٦٩).
- ٤- تأثير الدبلوماسية الناعمة في تعزيز العلاقات الكويتية-الصينية: دراسة ميدانية لتوجهات عينة من المجتمع الكويتي. مجلة العلوم الاجتماعية (جامعة الكويت)، المجلد ٤٦، العدد ٣، ٢٠١٨ (ص ٦٦-١١٢).
- ٥- منطقة الخليج بين ضغوطات العولمة الاقتصادية وتحديات التكامل الإقليمي. السياسة الدولية (جمهورية مصر العربية)، العدد ١٤٤، أبريل ٢٠٠١ (ص ٨-٢٥).
- ٦- الخليج ومحاولات الهيمنة على منابع النفط: دراسة استشرافية حول آفاق العلاقات الدولية في المنطقة. السياسة الدولية (جمهورية مصر العربية)، العدد ١٣٣، يوليو ١٩٩٨ (ص ٨-٥٠).
- ٧- عوامل السلام والاستقرار في منطقة الخليج في التسعينيات: إرهابات الداخل وضغوطات الخارج. المستقبل العربي (لبنان)، مركز دراسات الوحدة العربية، العدد ٢١١، سبتمبر ١٩٩٦ (ص ٣٥-٤٩).
- ٨- مستقبل سياسة الكويت الخارجية: معضلة الترتيبات الأمنية المتضاربة. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية (دولة الكويت)، عدد خاص حول المؤتمر العالمي عن آثار العدوان العراقي على دولة الكويت (٢-٦ أبريل ١٩٩٤): الآثار السياسية والاقتصادية، المجلد الأول ١٩٩٦ (ص ٢٩-٦٦).

(ب) الأبحاث الإنجليزية:

- 1- "Social Media and the Spiral of Silence: The Case of Kuwaiti Female Students Political Discourse on Twitter". Journal of International Women's Studies (Bridgewater State University), Vol. 16, No. 3, July, 2015 (pp. 42-53).
- 2- "The National Sovereign Rights and International Law". Journal of Middle Eastern Geopolitics (Italy), Vol. I, No. 2, December, 2005 (pp. 325-382).
- 3- "New Dimensions of Future Security in the Gulf", Journal of Social, Political and Economic Studies, Vol. 22, No. 3, Fall 1997 (pp. 267-294).
- 4- "Political Islam and the West: American and European Response". Iranian Journal of International Affairs, Vol. III, No. 1, Spring 1996 (pp. 97-119).
- 5- "Oil and Democracy: The American Dilemma in the Gulf Region". Journal of South Asian and Middle Eastern Studies (USA), Vol. XIX, No. 1, Fall 1995 (pp. 57-71).

المحتوى

١٥	 الملخص
١٧	 المقدمة
٢٣	 أولاً- الإطار العام للدراسة
٢٣	 (١) أهداف الدراسة
٢٣	 (٢) المنهجية العلمية
٢٤	 (٣) الأسئلة البحثية
٢٥	 (٤) فرضيات الدراسة
٢٦	 (٥) الدراسات السابقة
٢٨	 ثانياً- الهنود الحمر في مواجهة حتمية الصراع
	 (١) إحصاء المواطنين الأصليين ونماذج التصفية للهنود الحمر في
٢٨	 الولايات المتحدة الأمريكية
	 الجدول (١) التركيبة العرقية والإثنية ونسبتهم من إجمالي عدد السكان
٣٠	 في الولايات المتحدة (١٦١٠-٢٠١٠)
	 الشكل (١) التراجع والانتعاش السكاني للمواطنين الأصليين في الولايات
٣١	 المتحدة (١٤٩٢-١٩٨٠)
	 الشكل (٢) النمو السكاني لغير المواطنين الأصليين في الولايات المتحدة
٣١	 (١٤٩٢-١٩٨٠)
٣٣	 (٢) التصفية عبر المسوغات الدينية والقانونية
	 جدول (٢) العدد الإجمالي للسكان وأعداد المهاجرين والمولودين
٣٥	 الأجانب في الولايات المتحدة (١٧٩٠-١٨٤٩)
	 جدول (٣) التشريعات الأمريكية لتمكين الاستيلاء على الأراضي الخاضعة
٣٩	 للقبائل الهندية والاستحواذ على ثرواتها وإلغاء هُويّتها (١٨١٨-١٩٢٤)
٥٠	 ٣- التصفية والاستيلاء عبر المسوغات العلمية

- ٦٣ ثالثاً: الفلسطينيون في مواجهة حتمية الصراع
- ١ - إحصاء للمواطنين الأصليين في فلسطين ونماذج التصنيفة
- ٦٣ للفلسطينيين والعرب
- جدول (٤) التركيبة السكانية بحسب الديانات اليهودية والمسيحية والإسلام في فلسطين (١٥٣٣-٢٠٠٠)
- ٦٣ جدول (٥) عدد السكان اليهود وغير اليهود ونسبة اليهود من إجمالي
- ٦٧ عدد السكان في فلسطين (١٥١٧-٢٠١٠)
- شكل (٣) التراجع والانتعاش السكاني للمواطنين العرب في فلسطين (١٥١٧-٢٠١٩)
- ٦٩ شكل (٤) النمو السكاني لليهود في فلسطين (١٥١٧-٢٠١٩)
- ٦٩ جدول (٦) موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين وجهات قدومها قبل إنشاء دولة إسرائيل (١٨٨٠-١٩٤٨)
- ٧٠ ٢- التصنيفية والاستيلاء عبر المسوغات الدينية والقانونية
- ٧٢ جدول (٧) التشريعات الإسرائيلية لتمكين الاستيلاء على الأراضي الخاضعة للمواطنين الفلسطينيين والاستحواذ على ثرواتها وإلغاء هويتها (١٩٢١-٢٠١٧)
- ٨٨ رابعاً: مقاربات زمانية ومكانية (عبر تاريخية وجغرافية) ومستوى التحليل الثقافي للعلاقات الدولية
- ٩٦ جدول (٨) الثوابت والمتغير في الأبعاد الفكرية والسياسية والإجراءات العملية للاستيطان والاستحواذ والإبادة الجماعية في تجربتي الشعب الفلسطيني وقبائل الهنود الحمر
- ٩٨ جدول (٩) توقعات مختلفة لأعداد السكان اليهود والعرب في الأراضي الإسرائيلية والفلسطينية (٢٠٠٠-٢٠٥٠) (بالآلاف)
- ١١٦ الخاتمة
- ١٢٣ المراجع
- ١٢٩

الملخص

هدفت الدراسة إلى إجراء مقارنة تحليلية لتجربتي الإبادة الجماعية للمجتمعات الأصلية الأمريكية التي سميت بالهنود الحمر والشعب العربي في فلسطين من حيث التشابه السياسي عبر الزمنى والمكاني بين الحالتين، وتركزت الدراسة على التفسير اللاهوتي المشترك بين الديانة المسيحية واليهودية للمنطلقات الفكرية لعقيدة (أرض الميعاد) وفلسفتها الدينية المقدسة كمبرر تاريخي للتوسع والاستحواذ وبسط الهيمنة الكاملة عبر الأدوات والمناهج القسرية الناعمة والخشنة، بما في ذلك التصفية الجسدية والتهجير القسري والسيطرة على الأراضي والتغيير الديمغرافي المنظم، من أجل إلغاء موروثات وحقوق الوجود الحضاري للمكون المجتمعي القائم. وخلصت الدراسة إلى مجموعة من القواسم المشتركة بين حالتي إبادة السكان الأصليين من الهنود الحمر والشعب الفلسطيني في الجانب النظري والثقافي من جهة ومحاولات إضفاء شرعية الاحتلال والقتل المنظم على نطاق واسع والترحيل القسري عبر مجموعة كبيرة من التشريعات القانونية والأحكام القضائية المغلفة بغطاء الديمقراطية وحقوق الإنسان واستقلالية المحاكم رغم البعد الزمني والجغرافي بين التجربتين. وختمت الدراسة باستخلاص تفسير علمي استنباطي من واقع استقراء الأحداث المتشابهة في كلتا الحالتين وعلاقتها بالتشابه الإستراتيجي فوق القومي في إطار نظرية القوة التي تعرضها المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية.

المصطلحات الأساسية: الإبادة الجماعية، الهنود الحمر، القضية الفلسطينية، الأنثروبولوجيا السياسية، نظرية القوة في العلاقات الدولية.

المقدمة

بعيداً عن الخوض في جدلية عودة التاريخ، يبقى هذا السجل البشري من تراكم الأحداث مفتاحاً للمستقبل، نستقرئ وقائعنا ونتحرى سننه وقوانينه التي تحكمها متغيرات اجتماعية واقتصادية وسياسية يعكف على تكرار صناعتها الإنسان الذي يتوارث سلطة تعاقب الأحداث، وقد يكون من المستغرب الحديث حول المقاربة التاريخية بين الفلسطينيين العرب وشعب الهنود الحمر، لكن الحقيقة تكون مثلاً لذلك عندما نطوف بقصة فريقين مختلفين عرقياً وحضارياً وبعيدين زمانياً ومكانياً، لكنهما واجها قوتين أخريين متشابهتين أيديولوجياً وسياسياً، بل وفي نفس سنان المواجهة.

من أهم أسباب هذه الدراسة النقص الشديد في الأدبيات السياسية والدراسات الأكاديمية العربية التي تتناول الاستهداف السياسي الذي عاناه الهنود الحمر في الولايات المتحدة الأمريكية، أملين أن تساهم في إضافة علمية جديدة قد تفيد في استقراء الواقع واستشراف المستقبل في الشرق الأوسط على ضوء المقاربة المستهدفة بين الهنود الحمر والفلسطينيين، كما تمثل مثل هذه الدراسات أحد متطلبات ومساعي البحث العلمي العربي في معرفة المزيد عن شعوب العالم، وعلى وجه التحديد التراث السياسي للولايات المتحدة الأمريكية، التي نتقاسم معها الكثير من القضايا السياسية والأيدولوجية سلماً وإيجاباً.

وقد استلزم هذا البحث القراءة المكثفة عن تاريخ الهنود الحمر وأصولهم وتراثهم وتصنيفات قبائلهم وعلاقتهم مع الرجل الأبيض منذ أن وطأت قدماه العالم الجديد عام ١٤٩٢، حيث استغرقت رحلة القراءة في هذه الأدبيات أكثر من ثلاث سنين ولا تزال، تخللتها سلسلة من الزيارات الميدانية لبعض متاحف الهنود الحمر في واشنطن العاصمة وغيرها من الولايات الأمريكية، للوقوف

عن قرب في تلمس تاريخ هؤلاء البؤساء الذين طوت حكاياتهم الكثير من صفح الرجل الأبيض ورواياته (الهوليوودية)، حيث إن المعلومات العامة عن الهنود الحمر قد لا تخرج في غالبها عن نطاق ما تعرضه أفلام الهوليوود التي تجاوز عددها (٢٠٠٠) فيلم أنتجتها مصانع السينما الأمريكية، وعززت صورة نمطية مغلوطة عن هذا الشعب وحضارته الإنسانية المتعددة التي أبيدت (Churchill & Wall, 1997, p. 3).

لذلك سوف تبدأ الدراسة بقراءة موجزة لتاريخ هذا الشعب المأساوي لاستكشاف ومحاكاة بعض الحقائق التي يمكن مقاربتها مع واقع التعامل الحالي للفلسطينيين من الجانب الإسرائيلي، كما ستمتد إلى عقد التحليل السياسي للحالتين بهدف فهم حاضر ومستقبل الحركة التاريخية لعرقية الإبادة الجماعية والعنصرية المستمرة زمانياً والعابرة مكانياً، والتي تؤدي دوراً رئيساً في العلاقات السياسية بين الأمم كتعبير عن مكنون صراع الحضارات كمفهوم يتناوله البعض كحدث جديد يمثل نزاع حالة الشر المتخلفة في الشرق ضد حالة الخير المتقدمة عند الغرب، لكنه في واقع الحال يمثل حقيقة تاريخية يحاول الطرف القوي أن يكتبها بطريقة مختلفة عما هي عليه في جوهرها.

وعليه؛ تؤكد الدراسة أن صراع الحضارات كظاهرة وممارسة قد ابتداءً بشكل منظم منذ سقوط الأندلس عام ١٤٩٢ عندما تبنت السلطات المسيحية السياسية عقيدة الدم النقي (Limpieza de Sangre) فمهّدت الطريق للحقبة الاستعمارية والإمبريالية العنصرية، حيث أرغم اليهود والمسلمون على اعتناق المسيحية وإلا تعرضوا للتهجير القسري، وهو الأمر الذي تزامن مع تجمع موكب كريستوفر كولومبس (Christopher Columbus) في أحد مرافئ إسبانيا استعداداً للرحيل نحو الأراضي الجديدة إيماناً بتدشين أضخم غزوة في التاريخ، وما أعقب ذلك من أكبر إبادة عرقية شهدتها البشرية (Dunbar-Ortiz, 2004, p. 34)، فلم يكن الفعل في الأراضي الجديدة منفكاً عن ولادة العقيدة الجديدة في أوربّا التي

حملت الإمبريالية العنصرية شرقاً باتجاه الهنود السمر في آسيا كما هو الحال غرباً نحو مواطن الهنود الحمر في العالم الجديد.

وكما يقول جون موهاك (John Mohawk)، في مداخلته البحث عن كولومبس (Looking for Columbus): إِنَّ أَوْربَّا ليست قارة بمعنى الكلمة، بل إنها امتداد لآسيا ولصيقة بها، ولكن ما يميز أوروبًا أن أغلب شعوبها لهم دين واحد هو المسيحية، ففي أوروبًا الغربية تجد المسيحية اللاتينية، بينما تجد المسيحية الأرثوذكسية في أوروبًا الشرقية، ولذلك ميزوا المواطنين الأصليين في القارة الجديدة على أنهم هنود حمر (Mohawk, 1992, p. 439). وعندما اكتشف الأوربيون العالم الجديد عام ١٤٩٢ كانوا لا يزالون يخضعون لسلطة الحكم الديني المتعصب الذي تديره الكنيسة مشاركة مع الملك باسم الرب الذي يحتم مقولة التفوق للشعب المختار، فاستغلت تلك العقيدة مبررًا لاجتثاث كافة الحقوق لدى الآخرين، بما في ذلك سلب أراضيهم وقتلهم وتشريدهم، إيمانًا بعدم ترك جنات عدن التي أطلقت على الأرض الجديدة بيد أناس بهيميين (Brutish).

وقد تم تقسيم الدراسة إلى أربعة أجزاء رئيسية، يستعرض القسم الأول منها الإطار العام للدراسة ويشتمل ذلك على أهداف الدراسة والمنهجية العلمية، إضافة إلى الأسئلة البحثية وفرضياتها وبيان أبرز الدراسات السابقة حول الموضوع محل البحث، وفي القسم الثاني سيتم التعرض للمحات ومحطات تاريخية مهمة للهنود الحمر منذ احتكاكهم بالرجل الأبيض القادم من أوروبًا، حيث ارتسمت مؤشرات حتمية الصراع عبر محطات زمنية انتهت بإخضاع الهنود الحمر للنظام القسري واستلاب تاريخهم بكل ما يحمل من إرث مادي ومعنوي، كما سيتم التركيز على الأدوات والمناهج القسرية الناعمة والخشنة التي أدت في نهاية المطاف لإحكام الهيمنة الكاملة للرجل الأبيض على جميع موروثات وحقوق شعوب تلك المجتمعات الأصلية.

ويركز القسم الثالث على أهم المنعطفات التاريخية في مسيرة الصراع الفلسطيني - الصَّهْيُونِيّ، واستطلاع أدوات وممارسات بسط الهيمنة والتوسع والاستحواذ فيها من جانب القوة الصهيونية الغازية، وأخيراً سيخصص القسم الرابع لمقارنة تحليلية مفصلة بين نسقي هاتين التجربتين من حيث التشابه السياسي (Political Analogy) عبر الزمني والمكاني، وما يمكن استخلاصه على ضوء ذلك من تفسير علمي استنباطي من واقع استقراء الأحداث المتشابهة بين حالتي الدراسة، وعلاقتها بالتشابه الإستراتيجي فوق القومي في إطار نظرية القوة التي تعرضها المدرسة الواقعية في حقل العلاقات الدولية.

تكمن أهمية هذه الدراسة، إضافةً إلى حداثتها الموضوعية، في المزيد من التعمّق في حقل العلاقات الدولية كمنهجية علمية في تفسير البناء السياسي لأنظمة مختلفة، ولكنها متجانسة إستراتيجياً من ناحية ارتباطها في التكوين الأنثروبولوجي السياسي من حيث الزمان والمكان كما هو الحال في التجربتين قيد الدراسة. ويمكن القول في هذا الصدد: إنَّ هذه الأنثروبولوجيا السياسية قد استمدت جذورها الفلسفية وإلى حد كبير في أوروبا عبر تراكم فكري يمتد إلى قرون طويلة من الزمن، انبثقت في ظلها حالة الشعور بالتفوق الجيني للجنس الأبيض في مقابل أجناس بشرية تستحق أن تباد نهائياً، وفَق ما أسَّسته الفلسفتان الإغريقيَّة واليونانية ثم انتقلت إلى الإمبراطورية الرومانية (سيراكوسا، ٢٠١٥، ص. ١٠٤)، مروراً بعهد الاستعمار الأوربي وانتهاءً بالنظرية النازية في ألمانيا قبيل اندلاع الحرب العالمية الثانية، حيث استدل يشير مارتن شو (Martin Shaw) بأن مصطلح الإبادة الجماعية (Genocide) قد اشتق من مركَّب كلمتي (Genos) اليونانية التي ترمز إلى العرق أو القبيلة وكلمة (Cide) بمعنى القتل باللغة اللاتينية (شو، ٢٠١٧، ص. ٤٣).

وإضافةً إلى فكرة السخرة التي تقضي باستعباد الأعراق الوضيعة لخدمة الرجل الأبيض مع حرمانهم من كافة الحقوق المدنية والإدارية والاجتماعية، شرعنت الأنثروبولوجيا الأوربية حق القيام بالأعمال المختلفة الهادفة إلى تدمير أسس الحياة الجوهريّة لقوميات مستهدفة على أساس العرق بغرض إهلاكها بالكامل، بما في ذلك انتهاج أساليب القتل الجماعي المنظم بأوامر من السلطة السياسية القائمة (شو، ٢٠١٧، ص. ٣٥)؛ الأمر الذي كان له الأثر المهم في رسم ملامح العلاقات الخارجية في القارة الأوربية عبر الحروب التوسعية، وكانت المظلة الدينية منذ سلطة الكنيسة الرومانية تضيء الشرعية المقدسة على هذه الممارسات حتى تحولت هذه الفلسفة إلى سياسة أممية تم تصديرها للخارج.

وبلغت فلسفة الإبادة الجماعية وتطبيقاتها العملية في أوروبا أوجها إثر صعود النظرية النازية وأيديولوجيتها القائمة على العنصرية والتشدد ضد القوميات الوضيعة في منظورها الجيني، وأمنت بقمع وإبادة الأجناس البشرية الأخرى بذريعة الحفاظ على طهر ونقاء الأعراق العليا وفي مقدمتها العرق الآري، حيث تأسس البناء الفلسفي لهذه النظرية على أفكار الطبيب الألماني ألفريد بلوتيز (Alfred Ploetz) مع مطلع القرن العشرين، والداعية إلى أيديولوجية الدولة القائمة على أساس عرقي نواته الجنس الآري في كتابه الشهير (جدارة عرقنا وحماية الضعفاء) (سيراكوسا، ٢٠١٥، ص. ١٠٤)، بينما نسج خطوطها التفصيلية وسبل نهضتها من بين ركام هزيمة الحرب العالمية الأولى ألفريد روزنبرغ (Alfred Ernst Rosenberg) بالتعاون مع أدولف هتلر في كتاب (أسطورة القرن العشرين) (إبراهيم، ٢٠٠٨، ص. ٢٩).

وجاءت حصيلة تطبيق هذا القمع العنصري في ظل الدولة النازية (١٩٣٣-١٩٤٥) فكرة المحارق الجماعية واحتلال المناطق التي تسكنها القوميات

المنبوذة وتحويلها إلى مستعمرات ألمانية واستبعاد من تبقى من شعوبها لدعم الاقتصاد الألماني، التي حصدت أرواح الملايين من الأقليات العرقية والدينية كالقوميات الروسية والبولندية والغجرية إضافة إلى اليهود والمقعدين والعاجزين والمثليين، ومن ثم الانطلاق نحو التمدد عبر القارة الأوروبية واستباحة كامل أراضيها (شكري، ٢٠١٧، ص. ١٨٨-١٩٥).

كما تبلورت في تلك الأثناء ذات الفكرة العنصرية الجينية لدى الرجل الأبيض الإنجليزي والسعي إلى تصديرها للخارج عبر القارة الأفريقية السوداء، التي عانت تجربة تطبيق فلسفة الأبرتايد القائم على أساس نظام الفصل العنصري والهيمنة المطلقة للجنس الأوربي، فتم بموجبها تقسيم الناس وفق مجموعات عرقية وتمييزهم بالخدمات الأساسية المتواضعة وحرمانهم من الحقوق السياسية، مع تسخيرهم الكامل لسلطان السيد الأبيض حتى سقوط هذا الحكم عام ١٩٩٠ (Campbell, 2016, p. 54-60).

بناءً على ما سبق، لا يمكن الفصل بين التجربتين الفلسطينية والهنود الحمر قيد الدراسة والأنثروبولوجيا السياسية الغربية من حيث الدوافع المشتركة المبنية على قواعد التفوق الجيني وعقيدة التفوق العنصري والنظرة الدونية إلى الشعوب الأخرى من جهة والشرعية السياسية والقانونية لتمكين متطلباتها على أرض الواقع من جهة أخرى، مع فارق وحيد يتمثل في نجاح التصدي لهذا الفكر العنصري في أوروبا وإن كلف ذلك حروباً دموية شرسة آخرها الحرب العالمية الثانية، في مقابل الصمت الدولي أو رعاية بعض القوى الرئيسة في النظام العالمي لطمس معالم تجربة الهنود الحمر في الولايات المتحدة إلى الأبد واستمرار التجربة الفلسطينية بكل معاناتها وآثارها الكارثية بسبب المصالح السياسية ومقتضيات التوازن الدولي الراهن.

أولاً - الإطار العام للدراسة:

(١) أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى مقارنة تحليلية لما تعرض له الشعب الفلسطيني وعبر مسيرة طويلة من التصفية المنهجية والاضطهاد والملاحقة ومصادرة الأراضي والاحتلال وممارسات التهجير القسري على ضوء معاناة قبائل الهنود الحمر إبان تجربة الإبادة الجماعية في الولايات المتحدة. وتركزت الدراسة على التفسير اللاهوتي المشترك بين الديانة المسيحية واليهودية للمنطلقات الفكرية لعقيدة (أرض الميعاد) وفلسفتها الدينية المقدسة كمبرر تاريخي من أجل إلغاء موروثات وحقوق الوجود الحضاري لهذين المكونين المجتمعين عبر الأدوات والمناهج القسرية المرنة والصلبة للتوسع والاستحواذ وبسط الهيمنة الكاملة، وما قد يفضي إليه ذلك من نتائج على صعيد القضية الفلسطينية ومصير الشعب الفلسطيني.

إضافةً إلى ما سبق سيتم إجراء التحليل السياسي للحالتين بهدف فهم واقع ومستقبل الحركة التاريخية لعقلية الإبادة الجماعية والعنصرية المستمدة زمانياً والعابرة مكانياً، والتي تؤدي دوراً رئيساً في العلاقات الدولية المعاصرة وسبل مواجهتها من أجل تحقيق السلام والاستقرار الإقليمي والعالمي.

(٢) المنهجية العلمية:

تعتمد الدراسة على منهج التحليل التاريخي المقارن، من أجل محاكاة المقاربات السياسية واستقراءها أنثروبولوجياً عبر ما يعرف بالأنثروبولوجيا السياسية (Political Anthropology) المعنية بدراسة الأنماط السياسية وتطورها تاريخياً من خلال تعرضها لمجموعة من العوامل المتشابهة والمتباينة التي تفسر التناقض أو التوافق البنيوي في المخرج العام للمجتمع

السياسي الحديث، حيث يصف جورج بالانديه (Georges Balandier) في هذا السياق حقل الأنثروبولوجيا السياسية بأنه أداة معرفة ودراسة شتى المؤسسات والممارسات التي تحقق حكم الناس فضلاً عن كونه وسيلة اكتشاف لنظم التفكير والرموز التي تستند إليها (بالانديه، ٢٠٠٧، ص. ١٧).

وتسعى الدراسة عبر توظيف هذا المنهج التاريخي - السياسي - الأنثروبولوجي إلى تفسير ظاهرة انتقال الأفكار النمطية المجتمعة في صناعة تركيب سياسي متشابه على شكل دول متجاوزة لعنصري الزمان والمكان، كما هو الحال في تجربتي الهنود الحمر في الولايات المتحدة الأمريكية والفلسطينيين تحت الاحتلال الإسرائيلي، إذ يعتبر بالانديه مفهوم الفيلسوف الفرنسي تشارلز مونتسكيو (Charles de Montesquieu) بشأن (الاستبداد الشرقي) في كتابه (روح القوانين) - أحد أصول الأنثروبولوجيا السياسية، ونظر هذا الأخير من خلالها إلى عنصري عدم المساواة وعلاقات الإنتاج على أنهما محركا التاريخ الذي يشهد بدوره صراعاً مُحْتَدَماً بين قوة الأشياء وقوة التشريع، فقد سمح ذلك منهجياً وعلمياً بأن نعتبر دراسة تركيب الدولتين الأمريكية والإسرائيلية مرتبطتين عضوياً في تلك الجدلية التي لخصها مونتسكيو بعنصري عدم المساواة وعلاقات الإنتاج من جهة والصراع بين قوة الأشياء وقوة التشريع من جهة أخرى.

(٣) الأسئلة البحثية:

يهدف البحث إلى الإجابة عن الأسئلة الرئيسة الآتية:

- ١- ما أوجه الشبه بين الشعب الفلسطيني ومجتمعات الهنود الحمر في تجربة الإبادة الجماعية التي شهدتها كل منهما بفعل قوة خارجية؟
- ٢- هل يمكن تفسير انتقال الأفكار النمطية المجتمعة في العقيدة الدينية المدفوعة سياسياً لممارسة قوى مختلفة في بعدي الزمان والمكان لسياسة

الإبادة الجماعية كما هو الحال في تجربتي الهنود الحمر في الولايات المتحدة الأمريكية والفلسطينيين تحت الاحتلال الإسرائيلي؟

٣- هل يمكن استقراء الأحداث المتشابهة في تجربتي الهنود الحمر والشعب الفلسطيني وعلاقتها بالتشابه الإستراتيجي فوق القومي في إطار نظرية القوة التي تعرضها المدرسة الواقعية في العلاقات الدولية؟

٤- هل يساهم التفسير العلمي الاستنباطي للصراع الفلسطيني الإسرائيلي وفق مستوى التحليل الثقافي لعقيدة الهيمنة والتوسع والاستحواذ في مقاومة الشعب الفلسطيني لمحاولات الإبادة الجماعية؟

(٤) فرضيات الدراسة:

ينطلق البحث من فرضية أساسية مفادها أن الموروث الحضاري للشعب يمثل صمام الأمان في تخطي محاولات الإبادة الجماعية مهما بلغت قوتها ووسائل تنفيذها. كما يتفرع من هذه الفرضية الرئيسة مجموعة من الفروض الثانوية التي تشكل أساساً محورياً لفهم دوافع الهيمنة وتطبيقاتها العملية، وفي مقدمتها سياسة الإبادة الجماعية، وهي كالاتي:

١- الدوافع الدينية وتفسيراتها الأيديولوجية الأحادية المدفوعة سياسياً تؤدّي دوراً رئيساً في بلورة ثقافة التوسع والهيمنة والاستحواذ.

٢- تتشابه التطبيقات العملية في الإبادة الجماعية من حيث التصفية الجسدية والتهجير القسري والسيطرة على الأرض والعمل على إلغاء الوجود الحضاري للمكون المجتمعي المستهدف تبعاً للتفسير اللاهوتي المشترك لمفهوم (أرض الميعاد) بين الديانة المسيحية واليهودية.

٣- نجح الموروث الحضاري العميق وامتداده المكاني في إنقاذ الشعب الفلسطيني من الإبادة الجماعية التي نالت من مجتمعات الهنود الحمر في الولايات المتحدة.

(٥) الدراسات السابقة:

لم يتم تناول موضوع المقاربة بين الشعبين الفلسطيني وقبائل الهنود الحمر في الأدبيات الأكاديمية العربية بشكل مكثف أو عميق، بيد أن الأمانة العلمية تفرض الإشارة إلى بعض المحاولات التي اقتصر على ضرب الأمثلة والتشبيه العابر، ومن أبرز هذه الدراسات كتاب ميخائيل سليمان (١٩٨٧) المترجم إلى العربية بعنوان: (صورة العرب في عقول الأمريكيين)، وما أورده فؤاد شعبان (١٩٩١) (Fuad Sha'aban) في كتابه الصادر باللغة الإنجليزية والمعنون: الإسلام والعرب في الفكر الأمريكي المبكر (Islam and the Arab in Early American Thought).

وازداد اهتمام بعض المثقفين العرب بهذا الموضوع مع بدايات الألفية الجديدة، حيث صدرت دراسة مهمة في كتاب نبيل خليل (٢٠٠٦) الذي حمل عنوان: (أمريكا بين الهنود والعرب)، كما أثرى منير العكش خلال العقدين الماضيين المكتبة العربية بسلسلة من المؤلفات المتنوعة في هذا المجال، منها «أمريكا والإبادات الجماعية: حق التضحية بالآخر» (٢٠٠٢)، «أمريكا والإبادات الثقافية: لعنة كنعان الإنجليزية» (٢٠٠٩)، «أمريكا والإبادات الجنسية» (٢٠١٢)، «دولة فلسطينية للهنود الحمر» (٢٠١٥).

وعلى الرغم من أهمية الدراستين الأخيرتين، فإنهما لم تخوضا بالتفصيل أو العمق المطلوب لنصب أسس المقارنة التحليلية عبر الزمنية والمكانية بين الهنود الحمر والفلسطينيين كشعبين منفصلين جغرافياً ومتباعدين تاريخياً، بيد أنهما تعرّضا لحدث سياسي متماثل (العكش، ٢٠١٢؛ العكش، ٢٠١٥)، في حين انصب اهتمام نبيل خليل على الممارسة السياسية للحكومة الأمريكية منذ عهد الاستقلال عن التاج البريطاني إلى الوقت الراهن، مروراً بالحروب التوسعية التي خاضتها الولايات المتحدة، حيث جاءت مناقشته المقتضبة لقضية الهنود

الحرر في الفصل الثاني من الكتاب مقتصرة على وحشية الرجل الأوربي منذ بداية وصوله إلى العالم الجديد، والقضاء على حضارة الإنكا (Inca) وسلب ما لدى شعوبها من ذهب، ومن ثم التوجه نحو ولاية فلوريدا حيث تم قتل المزيد من السكان الأصليين هناك، وكأنها تمهد الطريق لاستنتاجات تختلف عما تصبو إليه هذه الدراسة.

وفي الفصل التاسع والأخير، عاود خليل طرح موضوع الهنود الحرر والعرب بإسهاب في الوصف والتحليل المعاصر للسياسة الأمريكية في الشرق الأوسط على حساب المقارنة والبحث في المتشابهات بين الفعل الأمريكي قديماً وحديثاً، مع الإشارة العابرة لبعض صور النزعة التوسعية للولايات المتحدة (نبيل، ٢٠٠٦، ص ١٧٠-١٩٢).

من جهته، رفض منير العكش فكرة المقاربة بين الشعبين الفلسطيني والهندي الأحمر واقتصر تعمقه المسهب على شرح معاناة الهنود الحرر ومقاتلهم على يد الرجل الأبيض معتمداً على حصيلة جيدة من المراجع التاريخية ذات العلاقة، وتوقف العكش عند حدود هذا العرض الشائق ليبرهن فداحة المجازر التي ارتكبتها الحكومات المتعاقبة للولايات المتحدة الأمريكية ضد هذا الشعب البائد.

وعلى الرغم من المعلومات الثمينة المقدمة في طيات إنتاجه العلمي، فإن العكش قد اكتفى بالجانب الوصفي في أغلب الأحيان دون سبر أغوار الأسباب والنتائج وإحداثيات الصراع الذي تخلله توظيف الوسائل الدينية والقانونية والأكاديمية والأيدولوجية لحسم النزاع بين الجنس الأبيض والجنس الأحمر، التي قد تعكس عمق مستوى الصراع وما آل إليه من نتائج لا تزال حاضرة في قضية الصراع العربي الإسرائيلي، بل تمثل أحد أهم عناصر التحليل في هذه الدراسة لتكون كشفاً جديداً في الأدبيات ذات الصلة لمسيرة الإبادة الجماعية عبر التاريخ (العكش، ٢٠٠٢؛ العكش، ٢٠١٥).

ثانيًا- الهنود الحمر في مواجهة حتمية الصراع:

(١) إحصاء المواطنين الأصليين ونماذج التصفية للهنود الحمر في الولايات المتحدة الأمريكية:

اختلفت المصادر حول عدد الهنود الحمر الذين توطنوا القارتين الأمريكيتين قبل وصول الرجل الأبيض إلى تلك الأراضي، إلا أن أشهر التقديرات الإحصائية بين المختصين ترجح أن يكون هذا العدد في حدود التسعين مليوناً في كلتا القارتين، كما تراوح مجموع سكان الهنود الحمر فيما يعرف حالياً بالولايات المتحدة الأمريكية بين المليون ونصف تقريباً إلى ١٩ مليون نسمة، حيث تعود هذه الفوارق الرقمية إلى عدة أسباب، منها عدم وجود إحصاء دقيق في القرن الخامس عشر وما تلاه.

كما أن تلك التقديرات السكانية كانت تخضع في بداياتها إلى انطباعات الباحثين الأوروبيين الذين ربما كانوا متأثرين بالعامل السياسي الذي يدعو لتقليل العدد بغية تبرير الاستيلاء على الأراضي باعتبارها غير مأهولة بالسكان، أو لإنكار المجازر والترحيل القسري الذي تم في ذلك الزمن، لكن الدراسات الحديثة في معظمها قد أشارت إلى أن الرقم الأقرب للحقيقة يقدر بـ ١٥ مليوناً من سكان الهنود الحمر ممن عاشوا على الأراضي التي تقع تحت سيادة الولايات المتحدة الأمريكية في القرن السادس عشر (Stiffarm & Lane, 1992, p. 23-31).

ويبين الجدول (١) التسلسل التاريخي لحركة التركيبة العرقية والإثنية ونسبتهم من إجمالي عدد السكان في الولايات المتحدة منذ عام ١٦١٠ حتى ٢٠١٠، كما يوضح الشكل (١) والشكل (٢) منحنيات التراجع والانتعاش السكاني للمواطنين الأصليين من القبائل الهندية في مقابل النمو السكاني لغير المواطنين الأصليين وغالبيتهم من المهاجرين البيض في الولايات المتحدة في الفترة ما بين ١٤٩٢ إلى ١٩٨٠.

وبطبيعة الحال ونتيجة لعمليات الإبادة الجماعية التي ارتكبت في سياق الحروب أو عبر سياسات الترحيل والقتل التي شنها الرجل الأبيض، سواء تحت مظلة القوى الاستعمارية الأوروبية وخاصة بريطانيا، أو تحت غطاء الحكومة الأمريكية التي تأسست بعد الاستقلال، فقد تهاوت أعداد الهنود الحمر إلى حد الانقراض تقريباً، حيث وصلت إلى ٢٣٧ ألف نسمة في عام ١٩٠٠، إلا أن هذا العدد قد عاود الارتفاع التدريجي بدءاً بالربع الأول من القرن العشرين حتى بلغ ما يقارب المليون وستمئة ألف نسمة وفقاً لبيانات مكتب الإحصاء الأمريكي لعام ١٩٩٠ (Stiffarm & Lane, 1992, p. 37-38).

هذا الهبوط الحاد في عدد سكان الهنود الحمر خلال فترة زمنية قصيرة ينبئ عن إحدى أبشع جرائم الإبادة عبر التاريخ، إن لم تكن الأكبر على الإطلاق، ومن الفصول المريرة في سجل أحداث هذه الجريمة الكبرى انقراض عدد من قبائل الهنود الحمر بالكامل، حيث كشف مكتب الإحصاء الأمريكي (U.S. Census Bureau) في عام ١٨٩٠ أن قبائل مثل كارنكاوا (Karankawa)، أكوكيسا (Akokisa) بيدوي (Bidui) تيجاز (Tejas) وكوهالتيكان (Coahuiltecan) قد اختفت من الوجود تماماً، كما أكد جهاز الإحصاء الرسمي أن الكثير من القبائل الهندية الأخرى قد تراجعت في أعدادها إلى حدود ضئيلة جداً، بل وصل بعضها إلى أرقام أحادية، ما بين عامي ١٨٠٠ إلى ١٨٩٠، مثل قبيلة تونكاوا (Tonkawa) التي تراجع عدد أفرادها من ١٠٠٠ إلى ٥٦ فرداً، وعشيرة كيجاي (Kichai) من ١٠٠٠ إلى ٦٦ فرداً، وجماعة ليبان أباتشي (Lipan Apache) من أكثر من ٥٠٠ إلى ٦٠ فرداً، وقبيلة ويشيتا (Wichita) من ٣٥٠٠ إلى ٣٥٨ فرداً، وعشيرة كادو (Caddo) من ٨٥٠٠ في ٥٠٠ فرداً، وقبيلة كامانجي (Comanche) من ٧٠٠٠ إلى ١٥٩٨ فرداً (Stiffarm & Lane, 1992, p. 35).

الجدول (١) التركيبة العرقية والإثنية ونسبتهم من إجمالي عدد السكان
في الولايات المتحدة (١٦١٠-٢٠١٠)

السنوات	البيض	السود	الهنود الحمر*	عرقيات أخرى**	الإجمالي
١٦١٠	٣٥٠	٠			٣٥٠
	%١٠٠,٠	%٠,٠			
١٦٥٠	٤٨,٧٦٨	١,٦٠٠			٥٠,٣٦٨
	%٩٦,٨	%٣,٢			
١٧٠٠	٢٢٣,٠٧١	٢٧,٨١٧			٢٥٠,٨٨٨
	%٨٨,٩	%١١,١			
١٧٥٠	٩٣٤,٣٤٠	٢٣٦,٤٢٠			١,١٧٠,٧٦٠
	%٧٩,٨	%٢٠,٢			
١٨٠٠	٤,٣٠٦,٤٤٦	١,٠٠٢,٠٣٧			٥,٣٠٨,٤٨٣
	%٨١,١	%١٨,٩			
١٨٥٠	١٩,٥٥٣,٠٦٨	٣,٦٣٨,٨٠٨		١١٦٩٤٣	٢٣,١٩١,٨٧٦
	%٨٤,٣	%١٥,٧		%٠,٥	
١٩٠٠	٦٦,٨٠٩,١٩٦	٨,٨٣٣,٩٩٤	٢٣٧,١٩٦	٦١٧٣٧٨	٧٥,٩٩٤,٥٧٥
	%٨٧,٩	%١١,٦	%٠,٣	%٠,٢	
١٩٥٠	١٣٤,٩٤٢,٠٢٨	١٥,٠٤٢,٢٨٦	٣٤٣,٤١٠	٣٦٠١٠٤٦	١٥٠,٦٩٧,٣٦١
	%٨٩,٥	%١٠,٠	%٠,٢	%٢,٣	
١٩٩٠	١٩٩,٦٨٦,٠٧٠	٢٩,٩٨٦,٠٦٠	١,٩٥٩,٢٣٤	٣٩٤٣٢٥٦٨	٢٤٨,٧٠٩,٨٧٣
	%٨٠,٣	%١٢,١	%٠,٨	%١٥,٨	
٢٠٠٠	٢١١,٤٦٠,٦٢٦	٣٤,٦٥٨,١٩٠	٢,٤٧٥,٩٥٦	٦٨١٣٢٩٥٢	٢٨١,٤٢١,٩٠٦
	%٧٥,١	%١٢,٣	%٠,٩	%٢٤,٢	
٢٠١٠	٢٢٣,٥٥٣,٢٦٥	٣٨,٩٢٩,٣١٩	٢,٩٣٢,٢٤٨	٩٣٨٠٨٣٠٠	٣٠٨,٧٤٥,٥٣٨
	%٧٢,٤	%١٢,٦	%٠,٩	%٣٠,٣	

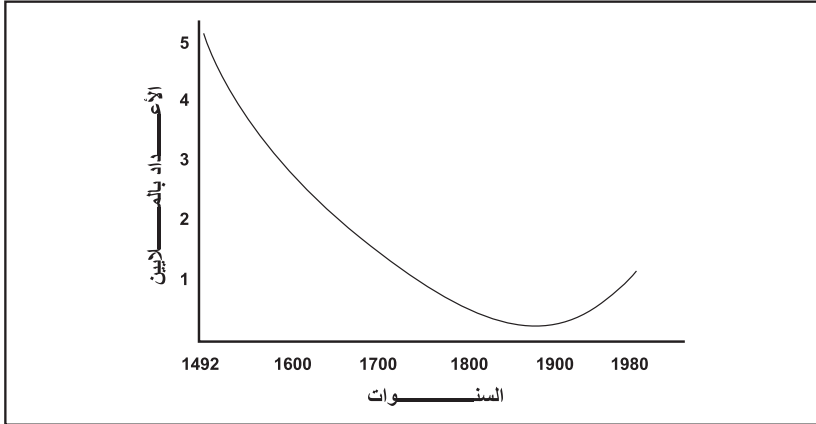
* تشمل الأقليات من الأسكيمو والأتوت باعتبارهم من السكان الأصليين.

* تشمل العرقيات من جزيرة آسيا والمحيط الهادئ ومن الأصول الإسبانية أو المنحدرين من أكثر من عرقية.

● المصدر:

- https://en.wikipedia.org/wiki/Historical_racial_and_ethnic_demographics_of_the_United_States#cite_note-census.gov-15.

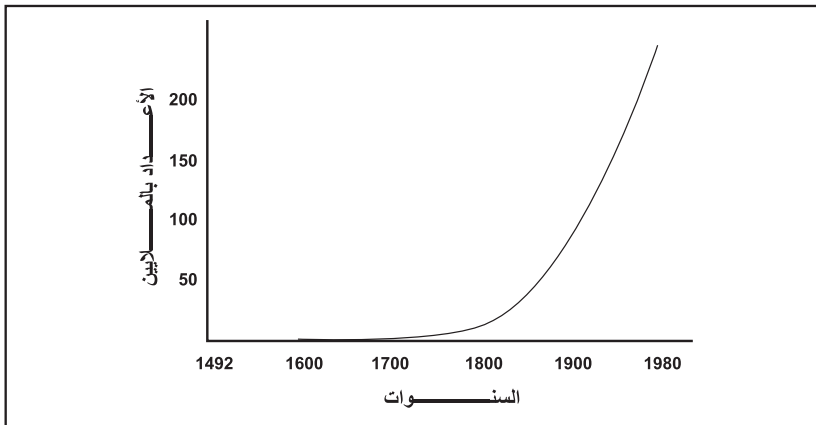
الشكل (١) التراجع والانتعاش السكاني للمواطنين الأصليين في الولايات المتحدة (١٩٨٠-١٤٩٢)



● المصدر:

- Russell, Thornton. (1987). American Indian Holocaust and Survival: A Population History Since 1492. Norman, OK: University of Oklahoma press, p. 35.

الشكل (٢) النمو السكاني لغير المواطنين الأصليين في الولايات المتحدة (١٩٨٠-١٤٩٢)



● المصدر:

- Russell, Thornton. (1987). American Indian Holocaust and Survival: A Population History Since 1492. Norman, OK: University of Oklahoma press, p. 36.

ولم تكن الحروب والقتل المنظم الرسمي أو حالات الاغتيال الفردية لصائدي الفروات والمتاجرين بأعضاء الهنود الحمر من الأسباب الوحيدة لهذه الإبادة، بل كانت هناك أسباب أخرى من أهمها القتل بواسطة الأمراض المعدية المعروفة اليوم (تلفظاً) بالحروب الكيميائية والبيولوجية، ومن أمثلة تلك الحروب غير التقليدية وقوع ٤١ حادثة وبائية لأمراض الجدري (Smallpox) خلال الفترة ما بين عامي ١٥٢٠ إلى ١٨٩٩، وست حوادث وبائية لأمراض مختلفة منها حمى التيفوئيد (Typhoid) الخطير في الفترة من ١٥٢٨ إلى ١٨٣٣، إضافة إلى ١٧ واقعة وبائية لمرض الحصبة (Measles) خلال عامي ١٥٣١ إلى ١٨٩٢، وأربع كوارث وبائية للطاعون (Plague) ما بين ١٥٤٥ إلى ١٧٠٧، كما تعرضت مناطق السكان الأصليين إلى عشر حوادث وبائية رئيسية للأنفلونزا (Influenza) في الفترة من ١٥٥٩ إلى ١٩١٨، وأربعة مواسم وبائية لمرض التيفوئيد (Typhus) من عام ١٥٨٦ إلى ١٧٤٢، وخمس حالات وبائية لمرض الخناق (Diphtheria) في الفترة من ١٦٠١ إلى ١٨٩٠، وأربع حوادث وبائية لمرض الحمى القرمزية (Scarlet Fever) ما بين ١٦٣٧ إلى ١٨٦٥، وثلاث فترات وبائية كبيرة للكوليرا (Cholera) في الفترة من ١٨٣٢ إلى ١٨٦٧ (Stiffarm & Lane, 1992, p. 31-33).

وبالفعل فقد أبيد أكثر من ١٠٠ ألف نسمة من قبائل الهنود الحمر عبر نشر مثل هذه الأوبئة بشكل متعمد كما تؤكد العديد من الوثائق التاريخية، خاصة من قبل قادة الجيوش، سواء في زمن البريطانيين أو في عهد ما بعد استقلال الدولة الأمريكية.

كما تشير المصادر بشكل متواتر إلى مئات المذابح التي ارتكبت من خلال جماعات سكانية مهاجرة من أوروبا أو بواسطة القوات العسكرية الاستعمارية ثم الأمريكية. ومن أمثلة تلك التصفيات مذبح ١٨٥٤ لشعب لاكوتا (Lakota)،

ومجزرة بير ريفر (Bear River) عام ١٨٦٣ التي راح ضحيتها نحو ٥٠٠ من قبيلة شاشوني (Shoshone)، ومذبحة ساند كريك (Sand Creek) ضد قبيلتي شايان وأرابهو (Cheyenne - Arapaho)، والتي قتل فيها نحو ٢٥٠ شخصاً عام ١٨٦٤، إضافةً إلى سلسلة من المذابح الأخرى بحق قبيلة شايان عام ١٨٦٨ ثم في عام ١٨٧٥ ومجدداً في عام ١٨٧٨ حيث قتل ٤٧٥ شخصاً، وأخيراً مجزرة وادي الركبة الجريحة (Wounded Knee) بحق قبيلة لاكوتا عام 1890 حيث تم تصفية نحو ٣٠٠ شخص (Stiffarm & Lane, 1992, p. 34).

وما هذه المذابح إلا أمثلة قليلة على ما قام به الرجل الأبيض بحق مختلف قبائل الهنود الحمر، سواء كان مستعمراً أو عندما أصبح مناهضاً للاستعمار ويبحث عن دولته الديمقراطية المستقلة، حيث تعددت الوجوه والقتل واحد، حيث قام بول فنكلمان وتيم غاريسون (٢٠٠٨) (Pul Finkelman & Tim Garrison) بتوثيق تفاصيل الكثير من الحروب والاتفاقيات والقوانين التي رسمت التاريخ الدامي للعلاقة بين الرجل الأبيض والقبائل الهندية بما في ذلك أسماء القادة في الجانبين ومواقع الأحداث في موسوعة سياسة الولايات المتحدة تجاه الهنود الحمر والقانون (Encyclopedia of United States Indian Policy and Law).

(٢) التصفية عبر المسوغات الدينية والقانونية:

في القرن السادس عشر صرحت الإمبراطورية البريطانية، باسم الملك، بإعطاء المستكشفين الحق بأن ينتزعوا الأراضي من الهنود الحمر بذريعة عدم قدرة هذا الجنس البشري على التطوير والتقدم، فاستغل المهاجرون الأوائل هذا التحريض السياسي بالتزامن مع بعض المسوغات الدينية اللاهوتية التي صورت القارة الجديدة بالأرض الموعودة للمسيح، تبريراً شرعياً للقتل والفتك الجماعي تحت حماية الحكومات الأوروبية، كما استندت حجج استيلاء الأوربيين على أراضي

المواطنين الأصليين في الأمريكتين، في بعدها القانوني، إلى ما يسمى بمذهب الاكتشاف (The Doctrine of Discovery) (Deloria, 1985, p. 85-86)، إضافةً إلى ما أطلق عليه مذهب تيرا نوليوس (The Doctrine of Terra Nullius)، وهو تعبير لاتيني يعني «ليست أرض أحد».

تشاطر هذان المذهبان الجذور الدينية والسياسية نفسها بالتزامن مع البدايات الأولى لحقبة الاستعمار في منتصف القرن الخامس عشر، حيث ترجع عقيدة الاكتشاف إلى فتوى الكنيسة الكاثوليكية الرومانية الصادرة عام ١٤٥٥ عندما أصدر البابا نيكولاس الخامس حكمه بمشروعية استحواذ أراضي الشعوب الأصلية وغير المسيحية من أجل الاستفادة منها وتعميرها، بينما يعود مذهب تيرا نوليوس في أصله للقانون الدولي الأوربي في القرن الثامن عشر لتبرير الحق في استعمار أراضي السكان الأصليين.

وقد استخدم مذهب الاكتشاف أولاً بواسطة الإسبان بعد اكتشاف كرسstofر كولمبس للعالم الجديد، الأمر الذي مهد الطريق لبقية القوى الاستعمارية المنافسة لإسبانيا، كالبرتغاليين والإنجليز والفرنسيين، لتحريك أساطيلها البحرية أيضاً للتسابق على ما يمكن احتلاله من أراضي المواطنين الأصليين في الأمريكتين، فاتَّفَقَ الفرقاء رغم المنافسة العدائية فيما بينهم على اعتبار السكان الأصليين «كفاراً وليسوا مسيحيين، وصيادين وليسوا مزارعين، ووحوشاً وليسوا بشرًا، أو لأسباب تتعلق بالمدنية والتطور التكنولوجي الأوربي، أو استناداً لحق الغزو، أو لأن الملك يملك كل شيء» (Deloria, 1985, p. 89).

كما استند الاستعمار الأوربي في مجمله إلى الآراء الدينية والفلسفية لاحتلال أراضي الهنود الحمر انطلاقاً من أطروحات البعض في تلك الفترة على أنها هبة من الله، وأنها نتيجة حتمية لتطور الرجل الأبيض الذي استطاع بفضل

علمه أن يكتشف تلك الأراضي الزاخرة بالمصادر الطّبيعية التي منها ستزدهر البشرية (Deloria, 1985, p. 89-111)، مما شجع حركة الهجرة الأوربية الكثيفة والمنظمة إلى القارة الجديدة بشكل غير مسبوق في السجل البشري، حيث بلغت أعداد المهاجرين البيض والمولودين الأجانب ما يقارب (٥) ملايين نسمة خلال نصف قرن من إعلان قيام دولة الولايات المتحدة، وكما هو مبين في الجدول (٢).

جدول (٢) العدد الإجمالي للسكان وأعداد المهاجرين والمولودين الأجانب في الولايات المتحدة (١٧٩٠-١٨٤٩)

التعداد	عدد السكان	أعداد المهاجرين ^(١)	المولودون الأجانب	النسبة المئوية
١٧٩٠	٣,٩١٨,٠٠٠	٦٠,٠٠٠		
١٨٠٠	٥,٢٣٦,٠٠٠	٦٠,٠٠٠		
١٨١٠	٧,٠٣٦,٠٠٠	٦٠,٠٠٠		
١٨٢٠	١٠,٠٨٦,٠٠٠	٦٠,٠٠٠		
١٨٣٠	١٢,٧٨٥,٠٠٠	١٤٣,٠٠٠	٢٢٠٠,٠٠٠	١,٦٪
١٨٤٠	١٧,٠١٨,٠٠٠	٥٩٩,٠٠٠	٢٨٠٠,٠٠٠	٤,٧٪
١٨٥٠	٢٣,٠٥٤,٠٠٠	١,٧١٣,٠٠٠	٢,٢٤٤,٠٠٠	٩,٧٪

(١) يقدر العدد الإجمالي للهجرة في كل عقد من عام ١٧٩٠ إلى عام ١٨٢٠.

(٢) عدد الأجانب الذين ولدوا في ١٨٣٠ و ١٨٤٠ عقود استقرار.

• المصدر:

- https://en.wikipedia.org/wiki/History_of_immigration_to_the_United_States#1790_to_1849.

ولكن، بعد أن تزاخم الرجال البيض من الأوروبيين المعمدين بقوانين الكنيسة والملك واحتدم الصراع بينهم على خلفية المواجهة الجديدة بين الثوار الأمريكيين المطالبين بالدولة المستقلة ضد الاستعمار البريطاني، لجأ الجميع للقبائل نفسها التي كانوا يعتبرونها همجاً كفاراً وهنوداً حمراً، ونظراً لاستمرار حيازة السكان الأصليين حتى ذلك الوقت للكثير من الأراضي المهمة في وسط النزاع الأوروبي، إضافةً إلى سيطرتهم على بعض الثروات الأساسية لصيرورة النصر العسكري، فقد استشاط كل من البريطانيين والثوار الأمريكيين في إعلان الوعود إلى الهنود الحمر.

وبناءً عليه، وقف العديد من قبائل الهنود الحمر إلى جانب البريطانيين مقابل تعهداتهم بالدعم والاستقلال، في حين لم يمنع ذلك الكونغرس الأمريكي قبل الإعلان الرسمي للدولة الأمريكية من إطلاق وعده بتأسيس علاقات جديدة مع تلك القبائل الهندية من خلال إنشاء لجنة الأمريكيين الأصليين، ولكن ما إن فتئت حربُ البيض أن تنتهي بانتصار الثوار الأمريكيين وإعلان دولتهم الجديدة حتى عاد الغدر البريطاني القديم ولكن بممارسة أمريكية هذه المرة لفرض إرادة الأقوى ونسيان الوعود المقطوعة للهنود الحمر.

لقد قدمت قبائل الهنود الحمر مساعداتها الكبيرة للفرنسيين والإنجليز وحتى الثوار الأمريكيين في مواقع مختلفة، وكان لها الأثر المهم في تحقيق كل منهم انتصاراته ومصالحه ضد الخصوم الآخرين، لكن المفارقة أن الجميع كان متفقاً على نسيان تلك المساعدات حينما كان يحتاج إليها الهنود، ومن أبرز الأمثلة اللافتة في هذا الصدد تلك الكلمات الاستعطفية المنسية التي كتبها الرئيس الأول للولايات المتحدة الأمريكية جورج واشنطن، إبان نضاله مع الثوريين الاستقلاليين ضد الإنجليز، لقبيلة باسا ماكودي (Passamaquoddy) قائلاً: «حينما سمعت أنكم رفضتم إرسال محاربيكم لتقديم الأخوة في سانت جونز

لم أعرف كيف أفكر، أنا متخوف أن بعض أعدائنا قد قلبوا قلوبكم ضدنا»
(Deloria, 1985, p. 83).

وفي الجانب الديني والأيدولوجي، لم يتعامل الرجل الأبيض مع المواطنين الأصليين بشيء من الإنسانية التي تتبنّاها الديانة المسيحية على الإطلاق، فعلى الرغم من اعتقاد المبشرين المسيحيين غير المسيسين بأن الهنود الحمر لديهم القدرة على استيعاب المسيحية (البروتستانتية)، فإنّ الجموع الشعبية المسيية لم تشاركهم هذا الرأي، بل إنّ الحكومة الأمريكية قد ذهبت إلى نقطة بعيدة جداً بالنظر بدونية إلى الهنود الحمر، وتمثلت هذه النظرة الدونية في أدل صورها في القوانين (الاستهدافية) التي أدّت إلى تصفية الهنود الحمر والاستيلاء على أراضيهم، بل كان ذلك بالطبع عبر الكونغرس المنتخب وتحت شعار الديمقراطية ومبدأ الأغلبية.

ومن جهة أخرى، اختلفت المصادر حول عدد الاتفاقيات التي أبرمتها الحكومة الأمريكية مع الهنود الحمر ولكنها قد تتراوح ما بين ٣٦٧ إلى ٣٧٥ اتفاقية (DiFelice, 2015, p. 244)، ولكن حتى تتلمص السلطات من تبعات كل تلك المعاهدات فقد أصدرت إحدى المحاكم الأمريكية رأياً مفاده أن هذه الاتفاقيات فاقدة لقوتها القانونية إذ إنّها أبرمت مع كيانات ليس لها شخصية دولية كالدول ذات السيادة القانونية التي يكفلها القانون الدولي، وفي المقابل أصرت الحكومة الأمريكية على نكران تعهداتها على الرغم من صدور حكم تاريخي من إحدى المحاكم الأمريكية يعتبر تلك المعاهدات شرعية بموجب الدستور الأمريكي حيث نص منطوق الحكم على الآتي (Deloria, 1992):

هناك الادعاء بأن معاهدة مع القبائل الهندية ليس لها نفس القوة أو التأثير مثل معاهدة مع دولة أجنبية ومستقلة، إنّ هذا التمييز غير مَرخَص به في الدستور، فمنذ نشأة الحكومة تم إبرام معاهدات مع

الهنود، وتم ممارسة سلطة صياغة هذه المعاهدات، إنها معاهدات، بالمعنى المقصود في الدستور، وعلى هذا النحو فتعتبر بمنزلة القوانين العليا للأرض (p. 270)

كما تذرعت الحكومة الأمريكية في أحيان أخرى بأن البعض من هذه المعاهدات لم يتم المصادقة عليها من قبل الكونغرس الأمريكي ومن ثم لم تكتسب المشروعية، بينما لجأت في أحيان عديدة أخرى إلى التحايل بعدما أعطت الرئيس الأمريكي الحق في التفاوض بشأن هذه المعاهدات لكي يقوم بدوره بإعادة صياغتها بالقوة ولضمان أنها تكون في مصلحة الولايات المتحدة الأمريكية، وأي طرف من جهة المواطنين الأصليين يرفض هذا التفاوض لا يحصل على شيء أو يتم تجاهل المعاهدة معه، خاصة بعد صدور التشريع الخاص باحتكار حق البيع للأراضي التي يمتلكها الهنود الحمر للحكومة الأمريكية فقط (Spirling, 2001, p. 6-9).

ويذكر المختصون أن هناك أكثر من أربعين قانوناً قد شرعتها الحكومة الأمريكية بشأن الهنود الحمر ما بين عامي ١٧٨٩ حتى ١٩٨٢ وتميل في مجملها لغير صالح المواطنين الأصليين، بل تعبر في حقيقتها عن تصفية واستيلاء وتهميش منهجي للكثير من حقوقهم على الرغم من محاولة تغطيتها بأنها في صالح هؤلاء البؤساء (Churchill & Morris, 1992, p. 13-17)، كما هو مبين في الجدول (٣).

فعلى سبيل المثال لا الحصر، كتب مجلس النواب العشرون في تقريره الخاص برقم (٥٦) المؤرخ ١٧ يناير ١٨٢٨ تحت عنوان: «إزاحة الهنود إلى الغرب» (Indian Removing Westward): «على الرغم من أنهم قادرون على التعايش مع نعمة التحضر، إلا أنهم لا يزالون بالنسبة لمجلس النواب سلالة متدنية» (Cole, 1992, p. 86). وعلى الرغم من قناعة مجلس النواب

بعدم السماح لاستخدام القوة لإزاحة الهنود الحمر من أراضيهم، فإنَّ الحكومة الأمريكية قامت بحملة دعائية مفادها مبادلة الأرض في مقابل التمدّن (Land for Civilization) لتنفيذ ذلك القرار. ومن أجل استكمال مشروع تهجير السكان الأصليين من أراضيهم التاريخية؛ فقد تم تأسيس صندوق أطلق عليه «صندوق التمدين» (Civilization Fund) في عام ١٨١٨ تحت مبرر تمدين الهنود الحمر في مقابل الاستيلاء على أراضيهم (العكس، ٢٠٠٩، ص. ٩٦).

جدول (٣) التشريعات الأمريكية لتمكين الاستيلاء على الأراضي الخاضعة للقبائل الهندية والاستحواذ على ثرواتها وإلغاء هُويّتها (١٨١٨-١٩٢٤)

التشريعات	السنوات	الأهداف
قانون تأسيس «صندوق التمدين»	١٨١٨	تهجير السكان الأصليين تحت عنوان التمدين مقابل الاستيلاء على أراضيهم.
قانون «إزاحة الهنود إلى الغرب»	١٨٢٨	تهجير السكان الأصليين تحت عنوان التمدين مقابل الاستيلاء على أراضيهم.
مجموعة قوانين «التجارة والاتصالات»	١٧٩٠-١٨٣٤	سيطرة الحكومة على المعاملات التجارية ومعرفة جهات الاتصال مع الهنود الحمر.
قانون «إجلاء الهنود»	١٨٣٠	تهجير القبائل الهندية من المناطق الجغرافية الغنية بالذهب.
قانون «تجنيس القبائل الهندية المتحضرة»	١٨٩٧	منع القبائل الهندية المتحضرة من إقامة حكمها الذاتي.
قانون «كورتيس»	١٨٩٨	إخضاع مساحات واسعة من الأراضي لسلطة إعادة التوزيع.

التشريعات	السنوات	الأهداف
مجموعة قوانين «إلغاء مشاريع الحكم الذاتي للقبائل الهندية»	١٨٣٠-١٨٨٠	إنهاء الإجراءات والمشاريع التي أقامها الهنود الحمر كالنظام التعليمي والقضائي والتجاري والزراعي.
قانون «توزيع الحصص العام»	١٨٨٧	تغيير نمط الحياة الاجتماعية والثقافية للقبائل الهندية ومصادرة المناطق المحفوظة أو المعروفة بالمخيمات.
قانون «الجنسية الأمريكية»	١٩٢٤	الاحتواء الكامل لجميع القبائل الهندية بعدما تحولت إلى أقلية ١٪.

• المصدر: من إعداد المؤلفين.

لقد كانت تلك الإجراءات وغيرها دائماً تصب في اتجاه واحد تجسد في سلب الأرض دون تقديم أي شيء سوى وعود جوفاء. وعلى الرغم من مناشدة أكثر من مليون مواطن أمريكي علاوة على الكثير من البعثات التبشيرية المسيحية من عدم تمرير قانون إزاحة الهنود الحمر من مواطنهم، فإن القانون قد تمت الموافقة عليه، بل أعيد انتخاب الرئيس أندرو جاكسون (Andrew Jackson) مجدداً؛ مما يدل على شعبيته بسبب سياساته الاستهدافية ضد الهنود الحمر وأقلية المعارضين له (Carbaugh, 2017, p. 76).

في المقابل، شرعت الحكومة الأمريكية العديد من القوانين لصالح المستوطنين البيض، وعرفت باكورة هذه التشريعات الانتقائية والتكتيكية بحزمة قوانين التجارة والاتصالات (The Trade and Intercourse Acts)، التي مكّنت الحكومة من السيطرة بموجبها على جميع المعاملات التجارية أو أي شكل من

أشكال الاتصال مع الهنود الحمر خلال الفترة الواقعة ما بين عامي ١٧٩٠-١٨٣٤، وكان السبب المعلن لإقرار تلك التشريعات حماية السكان الأصليين من الاختلاسات التي يتعرضون لها من بعض المستعمرين، ولكن في حقيقة الأمر فإنّ مسعى الحكومة الفيدرالية كان مقصده معرفة جهات الاتصال مع الهنود الحمر وحجمها ونوعها، ومن ثمّ التحكم باتصالات الهنود الحمر لمنع إتمام صفقات السلاح أو تبادل الخبرات التي قد تساعد على تقوية وضعهم السياسي، إذ كان من الضروري إبقاء مجتمعات الهنود الحمر معزولة على شكلها البدائي الاستهلاكي حتى يسهل احتوائهم إن لم يكن فنائهم.

من السياسات التي استخدمتها الحكومة الأمريكية ضد الهنود الحمر أيضاً التهجير القسري، حيث عمدت إدارة الرئيس توماس جيفرسون (Thomas Jefferson) إلى إجلاء الكثير من القبائل الهندية من المنطقة الشرقية للولايات المتحدة إلى ما يعرف الآن بولاية لويزيانا، كما تم الترحيل لبقية القبائل التي تعيش في تلك المنطقة، خاصة الكبيرة والقوية منها، كجماعات الشيروكي (Cherokee) وكريك (Creek) وتشاكتا (Choctaw) وسيمينول (Seminole) وتشيكاساو (Chickasaw)؛ نظراً للقابلية التي أظهرتها للحدثة وامتصاص بعض عناصر الحضارة الأوروبية مقارنة بغيرها من الجماعات الهندية، وفي الوقت نفسه كانت هذه القبائل تعيش على رقعة جغرافية غنية بالذهب؛ مما دفع الكونغرس الأمريكي إلى إصدار ما عرف بقانون إجلاء الهنود (Indian Removal Act) عام ١٨٣٠، حيث تم بالفعل إزاحة تلك القبائل بقوة القانون على يد الجنرال توماس ماكينني، الذي كان متعاطفاً مع الهنود الحمر إبان توليه وزارة الحرب في بداية مشواره، إلا أن مواقفهم قد تغيرت لدرجة متناقضة تماماً بعدما ترأس مكتب شؤون الهنود الحمر ما بين عامي ١٨٢٢-١٨٣٠ (العكش، ٢٠٠٢، ص. ٨٣-٩٠).

وبعد إزاحتهم عن أراضيهم، وقّعت القبائل الخمس المتحضرة (The Five Civilized Tribes) معاهدة مع الحكومة الأمريكية تنص على أن تلك الإزاحة ستكون الأخيرة لهم، وبناءً على ذلك عمدت تلك القبائل إلى إعلان استقلالها بين عامي ١٨٣٠ إلى ١٨٨٠ لكن الكونغرس الأمريكي رفض الاعتراف بتلك المعاهدات، ووضع تصرف أراضي تلك القبائل تحت قانون إعادة التوزيع ناكثاً بوعود الحكومة السابقة (العكش، ٢٠٠٢، ص. ٩٣-٩٨).

كما استخدم الكونغرس والحكومة الأمريكية حجة أن الكثير من أتباع الجنسية الأمريكية من غير الهنود الحمر يعيشون على تلك الأراضي ويجب حمايتهم وحفظ حقوقهم الدستورية وخاصةً أنهم قد أصبحوا أغلبية بعدما سمح لهم الهنود الحمر بالعيش بينهم بشرط احترام القوانين التي تصدرها سلطاتها، وهنا تنبري الغواية مرة أخرى على المستويين الرسمي والشعبي للهنود الحمر، حيث لم يخدع الهنود الحمر من الحكومة الأمريكية فحسب بل حتى من قبل أولئك الذين تم السماح لهم بالعيش بينهم حتى أصبحوا أغلبية فنكثوا بالعهد.

ولمنع القبائل الهندية المتحضرة من إقامة حكمهم الذاتي، قرر الكونغرس مجدداً في عام ١٨٩٧ منح الجنسية الأمريكية لجميع السكان في هذه الأراضي بما في ذلك الهنود الحمر أنفسهم، وفي العام التالي مباشرة تم استصدار ما يعرف بقانون كورتيس (Curtis Act) الذي شرعن إخضاع تلك الأراضي لسلطة إعادة التوزيع، وبذلك تم إنهاء كافة الإجراءات والمشاريع التي أقامها الهنود الحمر خلال نصف قرن من الزمن ما بين عامي ١٨٣٠ حتى ١٨٨٠، بما في ذلك النظام التعليمي والقضائي والتجاري والزراعي الخاص بهم، ومن الجدير ذكره أن النظام التعليمي الذي صنعه الهنود الحمر كان أفضل من ولاية تكساس المجاورة لهم، ولكن بعد ذلك القانون تم دمج هذا النظام تحت مظلة

مكتب شؤون الهنود الحمر حيث تم تصنيفه كأسوأ نظام تعليمي في العالم (Deloria, 1985, p. 9-11).

حاول الهنود الحمر، وخاصة قبيلة الشيروكي، معارضة قانون الإجلاء عبر الوسائل القانونية المتاحة حينذاك، فعرضت فكرة قيام الدولة المستقلة على أراضيهم الممتدة عبر مناطق جورجيا ونورث كارولينا وتنيسي وألباما، وذلك استناداً إلى العديد من المعاهدات والترتيبات التاريخية المبرمة بين المواطنين الأصليين والسلطات الأمريكية التي أقرت في مضمونها النهائي بأحقية الهنود الحمر على تلك الأراضي أو الأجزاء الأكبر منها، إلا أن حكومة ولاية جورجيا ضغطت في المقابل على الرئيس أندرو جاكسون (Andrew Jackson) ليقرر أن حقوق الهنود الحمر تدخل ضمن صلاحيات وحدود الولاية وليس الحكومة الأمريكية الفيدرالية، ليتجلى بذلك أحد أبرز الأمثلة على نقض سلطات الولاية للوعود والاتفاقات مع قبيلة الشيروكي بعد اكتشاف الذهب في أراضيها الواقعة في ولاية جورجيا عام ١٨٣٠، وعندما رفعت القبيلة شكوى للمحكمة العليا وأصدر القاضي جون مارشال في عام ١٨٣٢ حكمه الشهير بعدم شرعية استيلاء الولاية على أراضي الشيروكي كونها تناقض الاتفاقات المبرمة معها، تهكّم الرئيس جاكسون من منطوق الحكم قائلاً: «جون مارشال أصدر قراره؛ فدعه يذهب كي يطبقه» (Deloria, 1985, p. 8).

بناءً على ذلك؛ تقرر أنه على كل من لا يريد الخضوع لسلطة الحكومة المحلية في ولاية جورجيا فعليه الرحيل إلى غرب نهر المسيسيبي، كما أعطى الرئيس جاكسون تبريره للإزاحة بأنه من صالح الهنود الحمر حتى يمنع انقراضهم، مستكماً بذلك ما أقره سلفه الرئيس جيمس مونرو (James Monroe) من ذرائع لإزاحة السكان الأصليين عن أراضيهم، وعندما رفض بعض الهنود فكرة الإجلاء تم استخدام القوة العسكرية لتنفيذ القانون ميدانياً في ممارسة

لن تنفك عن الذاكرة الهندية قصصها المأساوية التي سمّيت برحلة الدموع (Trail of Tears) (Jahoda, 1975, p. 3-7)، حيث قضى أربعة آلاف شخص من قبيلة الشيروكي وحدها حتفهم خلال تلك الرحلة بسبب التّزاحم في عربات وأقفاص النقل. وتجدر الإشارة إلى أنّه تم نقل ثلاثين قبيلة هندية أخرى على هذا النحو، وعلى الرغم من وعد الحكومة الأمريكية بأن هذا الإجلاء سيكون الأخير وأن المحطة النهائية ستكون الموطن الدائم لهم؛ فإنّهم أرغموا على النزوح قسراً تكراراً ومراراً عند مطالبة المستوطنين الجدد الحكومة الأمريكية فعل ذلك في كل مرة.

من جهة أخرى، وعلى إثر مزاحمة المستوطنين للهنود الحمر في أراضيهم واستهلاك خيراتهم، خاصة في قتل حيوان الجاموس الأمريكي البافلو (Buffalo)، فقد أصابت القبائل الأصلية سلسلة من المجاعات عوضاً عن الأمراض السارية والمعدية التي لم يكونوا محصّنين ضدها حتى قضت على أعداد ضخمة منهم بصورة جماعية يعيب على التاريخ البشري إهمالها.

ومن أخطر التشريعات التي استصدرتها الحكومة الفيدرالية بل أكثرها خبثاً هو قانون توزيع الحصص العام (General Allotment Act) لعام ١٨٨٧، الذي كان الهدف الظاهري له تحفيز الهنود الحمر على التمدن عبر تعليمهم على الفلاحة وتربية الماشية، في حين كان المقصد الأساسي للقانون يضمن تغيير نمط حياتهم وثقافتهم، إضافة إلى نهب ما تبقى من الأراضي التي يمتلكها هؤلاء المواطنون والمعروفة بالمناطق المحفوظة أو المخيمات (Reservations)، فقد أرغمت الحكومة الأمريكية بموجب هذا القانون الهنود الحمر على قبول وإعادة توزيع الأراضي بواقع ٨٠ إلى ١٦٠ هكتاراً لكل أسرة، لكنهم رفضوا القانون برُمته لأنهم كانوا يتعاملون مع الأرض من منظور مقدس أكثر من معناه الاقتصادي، ولم تعبأ الحكومة الأمريكية بهذا الاعتراض

ومضت قدمًا بفرضه حتى تم توزيع الأراضي بالصورة التي أقرها القانون، أما ما فاض من أراضٍ زائدة فقد تم توزيعه على المستوطنين البيض (العكش، ٢٠٠٩؛ نبيل، ٢٠٠٦).

وبينما التحديث والتمدين هو الشعار والوسام على ثوب المدنية والإنسانية، فقد كان الهدف الحقيقي والخفي هو الاستيلاء والاستحواذ والتهميش، ولم يكن بمقدور الهنود الحمر إلا القبول بالأمر الواقع حيث إن الذين لم يستثمروا أراضيهم لأسباب ذاتية أو خارجية قد أرغموا على بيعها للبيض حتى يتسنى لهم دفع فواتير طعامهم وملبسهم المتراكمة.

وفي ظل قانون توزيع الحصص العام أضاع الهنود الحمر نحو ثلثي ما كانوا يمتلكونه من أراضٍ قبل عام ١٨٨٧ باعتراف الحكومة الأمريكية؛ الأمر الذي تم توثيقه لاحقاً فيما يعرف بتقرير مريام (Merriam Report) المنشور عام ١٩٢٨ (The Institute for Government Research, 1928, p. 6-8)، حيث تم الإقرار في هذا التقرير بأن القانون المذكور وغيره من القوانين والإجراءات التي اتخذتها الحكومة الأمريكية قد ألحقت الفقر وتردي الأوضاع الصحية وتدني التعليم بالمواطنين الأصليين جراء عدم تمكنهم من التحكم بحياتهم وأرضهم. وعلى الرغم من ذلك الاعتراف؛ فإن هذا التقرير قد مرّ كغيره من حالات الاعتراف بالذنب مرور الكرام وبعد فوات الأوان ولم يتجاوز عتبة ذر الرماد في العيون والتدليل الساذج على الموضوعية وتحقيق العدالة الضائعة في وقتها، ليبقى التساؤل المثير للجدل حول قيمة الاعتراف بالذنب بعد اقترافه وقيام أمر واقع لا يمكن تغييره بحجة أنه خارج عن منطق العقلانية التي يحددها الطرف القوي المنتصر.

وأمام الضعف والوهن الذاتي والأمراض والهزائم المتتالية والمضايقات العنصرية من جانب المستوطنين تشبّث الهنود الحمر بأمل المحافظة على

وجودهم بأي شكل من الأشكال لدرجة أنهم أُجبروا على توقيع قرابة ٣٧٠ وثيقة من المعاهدات والاتفاقيات حتى دون أدنى دراية بفحواها وتبعاتها، ورغم ذلك لم يصادق مجلس الشيوخ الأمريكي على الكثير منها؛ ممّا جعل اختراقها سهلاً متى ما استدعى الأمر (Prucha, 1997).

يتبين مما سبق أن التوجه الأساسي كان مجرد إثارة الهنود الحمر بأي شكل حتى يتم إفنائهم، وقد لخص فاين ديلوريا (Vine Deloria) هذا المشهد المأساوي في كتابه «بعد رحلة المعاهدات المنقوضة» (Behind the Trail of Broken Treaties) قائلاً: «في مقابل كل انتصار يحققه الهنود الحمر، هناك دسنة هزائم رسمت على قطار الأحداث» (Deloria, 1985, p.14). وبالفعل، فقد شهدت الفترة بين عامي ١٨٦١-١٨٩١ فقط أكثر من ١٠٠٠ مصادمة عسكرية دفع الهنود الحمر شبابهم وأطفالهم ونساءهم وشيوخهم وأراضيهم فاتورة رخيصة لجولاتها غير المتكافئة.

ومن المعارك التي لا تزال حاضرة في ذاكرة تاريخ الهنود الحمر موقعة ساند كريك (Sand Creek) عام ١٨٦٤ عندما قام الكولونيل في الجيش الأمريكي في ولاية كولورادو جون شيفنغتون (John Chivington)، الذي كان عضواً سابقاً في الطائفة الميثودية ذات الصلة بالمسيحية البروتستانتية (Methodist)، بشن هجوم كاسح على مجموعة من قبيلتي شايان وأرابهو (Cheyenne - Arapaho) المسالمين ولا يتجاوز عددهم ٦٠٠ فرد، فقتل منهم ١٠٥ من النساء والأطفال، إضافةً إلى ٢٨ من الرجال العُزّل وهم بحماية العلم الأمريكي الذي قدمه الرئيس إبراهيم لينكون (Abraham Lincoln) لزعيمهم بلاك كاتل (Black Kettle) عام ١٨٦٣، ولم تكتفِ الحكومة الأمريكية بذلك بل أُجبرت الأحياء منهم على مغادرة الولاية. وممّا يذكره المؤرخون في هذه المذبحة أنّ فرقة الجنود تحت قيادة شيفنغتون لم تكتفِ بالقتل بل ذهبت إلى أشنع التمثيل بالموتى؛ فتم كسر جماجم الرجال واستخراج الأمخاخ منها وقطع

آذان الأطفال علاوة على تقطيع المناطق الحساسة للرجال والنساء واستخدامها كحافظات للتبغ وزينة لسروج الخيل (Jaimes, 1992, p. 1-2).

وقد وثقت ستيفيني بوك (Stephanie Buck) (٢٠١٦) كيف استغلت الحكومة الأمريكية ذلك الوضع المهيّن للهنود الحمر؛ فعكفت على سلسلة من العمليات التراتبية بغية التغيير المنظم للبنى الثقافية والهوية الحضارية للسكان الأصليين، وفي مقدمتها أنشطة التنصير لطمس خصوصيتهم التراثية وحقوقهم التاريخية، فعينت الإرساليات التبشيرية في مناطق الهنود الحمر لاستكمال المشوار السياسي للحكومة الفيدرالية؛ الأمر الذي استقبل من جانب القبائل الأصلية برفض تلك الإجراءات والتحديات الحضارية والدعوة إلى التمسك بعاداتهم وما تبقى من تقاليد تهمس بها شفاه ذابلة ووجوه شاحبة تتحدث عن ذاكرة بائسة. وفي رد فعل مباشر أخذت بعض جماعات الهنود الحمر مثل قبيلة السيوكس (Sioux)، التي بقيت بين أكثر القبائل تنظيماً في الوقت الراهن، بممارسة طقوس دينية وتقاليد تراثية تؤكد أحقيتهم ورغبتهم في «الرجوع أو العودة»، ومن أهمها رقصة الجن (Ghost Dance) التي توحى بوعد الرجعة وعودة الأمور إلى نصابها كما كان الحال قبل وصول المستوطنين إلى أمريكا.

ولما كانت قراءة الحكومة الأمريكية لمثل هذه الأنواع من الممارسات التراثية على أنها تنشئة سياسية؛ فقد تم حظرها بالقوة عبر استصدار الأوامر من إدارة شؤون الهنود الحمر لتجريم ممارسة تلك الطقوس. ونفاذاً لتلك الأوامر؛ قتل الجيش الأمريكي ما يقارب ٣٥٠ من رجال قبيلة السيوكس في ديسمبر ١٨٩٠ لمجرد أنهم كانوا يمارسون رقصة الجن (Buck, 2016).

وتجدر الإشارة هنا إلى الحساسية البالغة تجاه مفهوم العودة أو الرجوع وكل ما يتصل به من ثقافة باعتباره حقاً حصرياً لليهود فقط وفقاً للبروتستانتية

المتعصبة تحديداً، والتي كانت تسيطر على الثقافة السياسية الأمريكية تجاه الهنود الحمر في ذلك الحين، لذلك فبمجرد إثارته من قبل الهنود الحمر من خلال ممارسة طقسية ودينية تولدت ردة فعل عظيمة لا يمكن أن تكون متساوية مع الفعل ذاته، بل مآل ردة الفعل العظيمة هو اتصال ذلك الطقس بتداعيات وتفسيرات ثقافة العودة.

وعلى عكس مفاهيم الدولة العلمانية والجمهورية الدستورية التي أتى بها الرجل الأبيض على الأراضي الجديدة الموعودة، فقد كانت الحقبة ما بين ١٨٧٠-١٩٣٤ هي الأسوأ في التدخل القسري في الشؤون الدينية للهنود الحمر؛ فخلال تلك الحقبة سيطرت الجماعات المسيحية على الشؤون الهندية حتى بلغ عدد الإدارات الواقعة تحت سلطة هذه الفئات ما مجموعه ٦٣ من بين ٧٥ مستعمرة هندية قائمة في تلك الفترة الزمنية، وكانت إدارات الرجل الأبيض تجبر الهنود الحمر على اعتناق الديانة المسيحية وتمنع أية ممارسة لطقوسهم الدينية التقليدية بدعم وتوجيه مباشر من الحكومة الأمريكية تحت إشراف وزير داخليتها هنري تيلر (Henry Teller) في عام ١٨٨٣ الذي هاجم ما وصفه بالممارسات (الوثنية) للهنود الحمر وعمل على إجبارهم على الكف عن تلك الطقوس بعدما أقنع الكونغرس على إقرار تشريع يسجن من يمارسها لفترة ٣٠ يوماً (Vecsey, 1993).

لم تتوقف تلك التدخلات (الجراحية والقسرية) لتهجين ثقافة المواطنين الأصليين على الجوانب الدينية فحسب، بل امتدت إلى الأبعاد الشخصية، حيث تم مضايقة بل ومعاقبة كل من لا يخلق شعره الطويل من الهنود الحمر، معتبرين أن قص الشعر أحد مؤشرات الحضارة والتمدن، كما تم ملاحقة كل من يضع أية علامة من قبيل تلك التي اعتادها الهنود الحمر على وجهه أو عينيه حتى وصلت حدة تلك المضايقات في بعض الأحيان إلى عقوبة السجن

مع الأعمال الشاقة إلى جانب الحرمان من توفير مؤونة الغذاء المخصصة لهم (Vecsey, 1986).

لقد أحس الهنود الحمر بمشاكلتهم الجماعية والتهديد بالانقراض؛ فترجموا ذلك في العديد من الخطب العصماء مثل مقولة الزعيم سياتل (Seattle): «شعبي في حالة انحسار»، ومقولة القائد جوزيف (Joseph)، واسمه الأصلي انموتو ياهلاتلات: «إنني لن أقاتل أبداً» بعد استسلامه للقوات الأمريكية في عام ١٨٧٧، كما راود هذا الإحساس الجميع ودفع بعضهم إلى حلم الوحدة ضد القوى الغازية، وتمثلت تلك المحاولات في بعض المبادرات لتوحيد الجماعات الهندية بقيادة قبيلة الشاوني (Shawnee)، وهي إحدى القبائل المعروفة والقوية في أوساط الهنود الحمر، فنجحت بعقد العديد من التحالفات مع القبائل الأخرى لمنع توسع الغزاة بقيادة الزعيم تيكومسيه (Tecumseh) وشقيقه الزعيم المقاتل تينسكواتاوا (Tenskwatawa)، ولكن الحكومة الأمريكية لم تُعطِ حتى وقتاً للإنذار؛ فأرسلت على العجل حاكم أراضي إنديانا الفظ الغليظ وليام هاريسون لمهاجمة عقر دار هذا التحالف بمنطقة بروفيتس تاون (Prophets Town) أو مدينة الأنبياء في نوفمبر من عام ١٨١١ حيث دارت معركة تابيكانو (Tippecanoe) الدامية وغير المتكافئة، ولم يكتف الجنرال هاريسون بإلحاق الهزيمة الساحقة في صفوف الخصم، بل قام بتمزيق تجمّعات الهنود الحمر إرباً إرباً؛ ممّا منع تكرار مساعي توحيد القبائل الأصلية مستقبلاً.

وبعد معركة تابيكانو فرضت الحكومة معاهدة غانت (Ghent) على القبائل الهندية كدعوة إلى عدم الاعتداء وإقامة علاقات الاحترام المتبادل بين الطرفين الهندي والأبيض، إلا أنّ تلك الاتفاقية كغيرها لم تقدّر من جانب الحكومة الأمريكية خاصة عند شكاية الهنود الحمر بسلب أراضيهم من قبل المستوطنين وانحياز السلطات الأمريكية للمعتدي بذريعة حماية مواطنيها من «شرور الناس المتوحشون» (Fixico, 2017).

بغض النظر عما تدّعيه أو تبرره الحكومة الأمريكية من عدم قانونية تلك الاتفاقيات والمعاهدات؛ فإنّ الدليل التاريخي مثبت على أن الثوار الذين شيدوا الحكومة الأمريكية في بداية قيامها ككيان وقبل إعلان الاستقلال كانوا يتعاملون مع شعوب الهنود الحمر ككيانات سياسية مستقلة، وما يدل على ذلك بوضوح أول معاهدة أبرمها الثوار قبل إعلان الاستقلال مع زعيم شعب ديلاوير (Delaware Nation) عام ١٧٧٨، والتي نصّت حرفياً في المادة الثالثة منها على اتفاق يسمح بمرور قوات الثوار «عبر أراضي دولة شعب ديلاوير» (Deloria, 1985, p. 199).

(٣) التصفية والاستيلاء عبر المسوغات العلمية:

لقد مضى الهنود الحمر إلى حتفهم التاريخي دون رحمة وبقوا في أدنى السلم الاجتماعي حتى اليوم، ولولا ضغط جماعات حقوق الإنسان والنفر القليل من الهنود الحمر الذين ما زالوا يؤمنون بقضيتهم، إضافةً إلى المناصرين لهم من البيض؛ لما قام الكونغرس بتشريع قانون يمنحهم الجنسية الأمريكية في عام ١٩٢٤.

لماذا آل أمر الهنود الحمر إلى هذا الحال؟ هذا السؤال يمكن طرحه على الهنود الحمر أنفسهم وعلى المستوطنين البيض والحكومة الأمريكية، ولكنه بالتأكيد يستثير إجابات متفاوتة وربما متناقضة من أطرافه المختلفة، فقد يأتي رد الهنود الحمر بمقدمات بديهية تكمن في عدم القدرة على مواجهة الرجل الأبيض المدجج بأحدث الأسلحة والوباء الذي نقلوه إليهم وخاصة مرض الجدري، إضافةً إلى عجزهم عن تحقيق التلاحم ضد الأجنبي، وفي مقابل ذلك من المرجح أن يتخفى جواب الحكومة الفيدرالية والمستوطنين البيض بين أطنان الوثائق إذ لا يمكن أن يصرحوا به حتى الآن لكونه متنافياً مع ما ينادون به من مبادئ الديمقراطية والمساواة وحقوق الإنسان، ومهما بلغت بعثرة هذه الوثائق سيدور

الجواب الخفي حول التشكيك في مقدرة الهنود الحمر على التحديث والتمدن والتطور، ومن ثمَّ كان من الواجب الإنساني من منظورهم أن يأتي جنس صالح يستطيع القيام بتلك المهمة التاريخية والنهوض بمتطلبات التقدم والحدثة.

بمعنى آخر، في حين أن القادم الطارئ من وراء البحار قد أخذ الأرض وطورها فإن المتلقي للتحديث والتطور فشل في المقابل باللاحق في ركب التقدم، فكان لزاماً فرض الواقع الجديد عليه بكل الوسائل مهما كانت النتائج، وعلى هذا النحو تكون الحجة مقنعة ومنطقية للعوام خاصة في تلك الحقبة، ولكن من الأرجح ألا يكون هذا التبرير مقبولاً وفق المعايير الحقوقية والإنسانية في الوقت الراهن، ولذلك تبقى الحقيقة مهما كانت مؤسفة أن تلك المسوغات الزمانية لم تكن مستحسنة عند الأغلبية البيضاء فحسب، بل مدعومة بالبراهين العلمية في وقتها، ولعل من هذا المنطلق عملت الأدوات السياسية من أجل تجنيد معامل العلوم لكي تبني الذرائع اللازمة والتدليل عليها علمياً لسبر عملية القهر الجماعي وكأنها محفوفة بقانون الطبيعة الذي فرضه الخالق (Josephy, 1995).

فمنذ أن لامست قدما كريستوفر كولومبس (Christopher Columbus) الأراضي الجديدة بالنسبة للأوروبيين، مروراً بعهد أول رئيس أمريكي ووصولاً لعهد الرئيس دونالد ترامب (Donald Trump)، لا تزال العنصرية البغيضة المتجذرة تتأصل في الولايات المتحدة بمسميات عديدة، حيث بدأت باسم الدين والأيدولوجيا كما تمت مناقشته، ثم عبر مسوغات علمية إيكولوجية هزلية، وانتهاءً بمحاولات تسويق الثقافة الشعبية تحت شعار أمريكا أولاً، ودشنت باكورة هذه العنصرية على أطلال أكثر من ٤٠٠ ثقافة للمواطنين الأصليين التي طمست تماماً فيما يعرف اليوم بدولة الولايات المتحدة الأمريكية واختزالها بمسمى وحيد يشار إليه بـ«الهنود الحمر» (Mohawk, 1992, p. 439-442).

ولذلك عمد الكثير من الدراسات الطبيعية وعلوم الأنثروبولوجيا إلى تدعيم الموقف السابق، فعلى سبيل المثال قام صامويل جورج مورتن (Samuel George Morton) (١٨٣٩) بتقديم «دراسة مقارنة حول جماجم مختلف الشعوب الأصلية في شمال وجنوب أمريكا» (Comparative View of the Skulls of Various Aboriginal Nations of North and South America) في النصف الأول من القرن التاسع عشر، لتأكيد نظرية الخلق المتعدد للأجناس (Theory of Polygenetic)، فخلص إلى أن عدم المساواة في المميزات والقدرات راجع إلى فطرة الخالق وهي خلقة غير قابلة للتحويل (Unalienable Traits)، ويدور مؤدى دراسة مورتن حول تأييد فرضية قديمة تؤمن بأن الاختلافات بين الأجناس ترجع إلى سنة الخلق، سواء كانت بفعل الخالق أم الطبيعة، ويمكن تصنيفها إلى من هو راقٍ ومن هو رديء، وبعد إجراء العديد من المقارنات لحجم الجماجم للأجناس البشرية وصل الباحث إلى نتيجة مفادها أن الإنسان الأوربي والأمريكي أكثر تحضراً بينما الهنود الحمر لا يزالون يعيشون في الحقبة التوحشية.

وتأكيداً لما توصل إليه من نتائج، طرح مورتن (١٨٣٩) دراسة لزميله جورج كومبي (George Combe) تحت عنوان «ملاحظات علم الأدمغة حول العلاقة بين المواهب الطبيعية وتصرفات الأمم وتطورات أدمغتهم»، وانتهى إلى القول: إنَّ

«الهنود في أمريكا الشمالية، مثل الدببة والذئاب، قدرهم أن يفروا من نهج الرجل المتحضر (الرجل الأوربي الأبيض)، وأن يسقطوا أمام يده المتحضرة، ويختفوا من على وجه الأرض في تلك الغابات التي توفر لهم القوت والمأوى ... في أمريكا عاش الأوربيون والهنود الأصليون لقرون تحت تأثير ذات الظروف المادية، وقد حافظ الأوربيون على التقدم تلو التقدم في حين أن الهنود لا يزالون ثابتين في الجهل والوحشية» (p. 272 - 273).

وبطبيعة الحال؛ فإنَّ الجنس الأبيض (Caucasian) هو الأرقى في سلم المخلوقات البشرية بحسب التصور العنصري حينذاك، أما الجنس الأدنى الذي لا حقوق له ولا احترام فينحدر من العرق الأسود (Negro) (Dippie, 1982, p. 82-83).

كما توصلت مجموعة من الباحثين العلميين إلى نتيجة صامويل مورتن نفسها، ومن ضمنهم جي سي نوت (J. C. Nott) وجورج جلدون (George Gliddon) اللذان ذهبا في دراستهما المنشورة عام ١٨٥٤ تحت عنوان: (أنواع الجنس البشري) إلى أبعد من ذلك حينما قال نوت ساخراً: «إنَّ الحديث عن تحضر الهنود الحمر حديث فارغ، إذا قلتَ بإمكانية ذلك فإنك يمكن أن تحاول أن تغير طبيعة (حيوان البافلو)»، بينما رصد الباحث براين ديببي (Brian Dippie) في كتابه «الأمريكيون المتلاشون» (Vanishing American) عدداً كبيراً من علماء الأنثروبولوجيا والأطباء وغيرهم في الأوساط الأكاديمية في بدايات القرن التاسع عشر ممن يدعمون نظرية الاختلاف والتفوق العرقي والجنسي بين البشر إلى الحد الذي يبرر الاستعباد ونكران الحقوق الإنسانية (Dippie, 1982, p. 83).

وعرف هذا الاتجاه فيما بعد باسم الدارونية نسبة إلى العالم تشارلز دارون (Charles Darwin) الذي كرس حياته لتأكيد عدم تساوي الأنواع البشرية في كتابه الذائع الصيت (أصل الأنواع)، ولعل أهم ما جاء في هذا البحث الإصرار على فرضية عدم تساوي الأنواع البشرية المتصارعة بصورة مستمرة من أجل الوجود، حيث من الطبيعي أن تكون الغلبة للأصلح والأقوى الذي يستطيع فرض نفسه على بقية الأنواع، كما أعطى دارون مصطلح الانتقاء الطبيعي وجدليته في مفهوم البقاء للأصلح لوصف الجنس الأكثر تأهيلاً.

ولم تكن هذه الفرضيات العلمية غريبة عن المنهج العلمي والأخلاقي حينذاك، بل أخذت تصدح بأصداء على الصعيد السياسي بشكل ينفي حق الآخر بالمساواة، وهذا ما ترجمه آرثر غوبينو (Arthur Gobineau) في دراسته

المعنونة: (بحث في اللامساواة بين العروق البشرية) لعام ١٨٥٣، حيث أضفى غطاءً فلسفياً جديداً لتجريد الآخر من الحقوق السياسية والاجتماعية وفقاً للمتبنّيات الدارونية، ولهذا فإنّ الحس السياسي الذي أسسه غوبينو في تلك الفترة يؤكّد سلامة السلوك الذي يبدو غير أخلاقي مع الغير، وعليه فإن نكران الحق السياسي والاجتماعي في المساواة مع الآخر يعد أمراً طبيعياً جداً، ويفسّر كنتاج للعملية البشرية وفق القانون الطبيعي الذي يجب عدم التدخل في مسيرته وتفاعلاته حتى لا تتبعثر مخرجاته السياسية والاجتماعية وتنعكس بصورة سلبية على المجتمع برُمته (Gobineau, 1915).

كما اتفق جورج كومبي في دراسته المشار إليها سابقاً مع ما انتهى إليه غوربينو حين جادل بعبارات صريحة بـ«أن الاستقلال والحضارة والحرية السياسية هي نتائج طبيعية للدماغ (المخ) الكبير والمناطق الأخلاقية والفكرية الغالبة في أكثر الناس، وهذا المزيج هو الذي يميز كلاً من البريطانيين والأنجلو الأمريكيين والسويسريين» (Morton, 1839, p. 283)، ومثّلت أفكار غوربينو بذلك الجسر الفكري في ربط الدارونية بالواقعية السياسية التي انتهجها الغرب وفق قواعد الفلسفة الميكافيلية، التي تتلخّص في أطروحة نيكولاس ميكافيللي (Nicolas Machiavelli) المشهورة بـ(الأمير).

فقد بنى ميكافيللي أسس المنهج الواقعي السياسي بحصر العقلانية السياسية في كل ما هو مفيد للحاكم بغض النظر عن السلوك الأخلاقي، ولخصّ أطروحته تلك بمبدأ «الغاية تبرر الوسيلة»؛ مؤكداً أن الناس لا ينظرون إلا للربح المادي المباشر دون الفوائد المعنوية غير المباشرة، ولا بد أن تتم هذه العملية عبر تحقيق البعض تقدماً على أكتاف الآخرين وحساب الآخرين ومن يتأخر عن تحقيق الربح والغلبة، ووفقاً لهذا المنطق فسوف يهزم أمام الآخر من لا يتوانى عن اقتناص الفرصة بغض النظر عن أخلاقية الوسيلة؛ إذ إنّ إنكار الخير والصالح

والفضيلة لا يحتسب إلا في محصلاتها النهائية ولا يمكن قياسها إلا تبعاً إلى بُعد واحد يتمثل في القدرة على البقاء واستمرار إحكام السيطرة على الآخرين حتى لو تطلب الأمر القيام بإفنائهم من الوجود.

إذن؛ المسوغات والدلائل التي ساقها الرجل الأبيض السياسي للعوام من شعبه لا تقوم فقط على اعتقادات وتقاليد اجتماعية وعرفية ودينية فحسب، بل تم تأسيسها على قواعد علمية مستوحاة من علوم الطبيعة والأنثروبولوجيا والسياسة والاجتماع والتاريخ، فشكّلت تلك القواعد انطلاقات القوالب الفكرية العامة عند أي حديث عن الهنود الحمر، وبناءً على ذلك لم يعد للانتقادات التي ساقها بعض المنصفين حول عدم إنسانية معاملة البيض للهنود الحمر أي أثر، بل كانت بمنزلة (تطيّر وجداني) خارج إطار المطارحات الفكرية العقلانية (Out of Rational Discourse) التي سوقها الرجل الأبيض بنجاح من خلال مؤسسات السلطة الرسمية وأدواتها الإعلامية والعسكرية والاقتصادية والدينية.

في إطار هذا المشهد التاريخي، توقف مصير الهنود الحمر أمام اختيار الآخرين لأحد طريقين، عرف الأول منهما بالخيار النشئوي الذي انتعش في الفترة ما بين ١٨٦٢ إلى ١٨٩٦، وانطوى ذلك على إحداثيات حتمية التسليم للقانون الطبيعي الذي يجب أن يحكم على قدر الهنود الحمر، وقد أقر أنصار هذا الاتجاه بإمكانية تحضّر الهنود الحمر وفق شروط النظرية النشئية (الشفونية) التي استخرجها الرجل الأبيض من منصات التأثير الجماهيري الناطقة بسياسة البقاء للأصلح وفقاً لتنظير الفيلسوف البريطاني هربرت سبنسر (Herbert Spencer) في كتابيه «مبادئ علم الحياة» و«سكونيات اجتماعية» (العكش، ٢٠١٢، ص. ٢٩-٣٠).

فقد أكد سبنسر أن الحضارة شيء ناتج من الحالة البربرية، بمعنى أن البربرية مرحلة تاريخية ضرورية نحو التحضر ولا يمكن تجاوزها، حيث إن جميع

الحضارات والمجتمعات البشرية قد ولجت بها قبل بلوغها مستوى التحضر كما وصل إليها الرجل الأبيض (Dippie, 1982, p. 98-99)، ووضع سبنسر بذلك أفكار المذهب النشوي في مواكبة النخبة الكبيرة في أوساط المجتمع العلمي حينذاك للوصول إلى نهاية مفادها حصر إمكانية تحضر الهنود الحمر بشروط النشوية التي تتطلب بدورها وقتاً زمنياً طويلاً عوضاً عن ضرورة التأقلم والذوبان في هوية الآخر.

ويأتي لويس مورغان (Lewis Morgan) من خلال مؤلفه «عصبة قبائل الإيروكوا» (League of the Iroquois) عام ١٨٥١، وكتابه الآخر بعنوان: «المجتمع القديم» (Ancient Society) في عام ١٨٧٧، كأحد أهم المجتهدين الذين حاولوا تطبيق مبادئ المذهب النشوي وفق منظور سبنسر، ووفقاً لمراجعة البرفسور ديبي المشار إليه سابقاً، فقد قدّم مورغان في كتابه الأول وصفاً دقيقاً وتحليلاً معمقاً حول تجمع قبائل الإيروكوا كنموذج عن اتحاد قبائل الموهوك (Mohawk)، أونونداغا (Onondaga)، كايوغا (Cayuga)، أونيدا (Oneida) وسينيكا (Seneca)، ممن عرفوا بجماعة الخمسة شعوب، كما طوّر في كتابه الآخر نظرية جديدة حول التطور الحضاري النشوي للمجتمعات كتطبيق على دراسته الأولى لتجمع الإيروكوا خلص فيها إلى أن المجتمعات البشرية تمر عبر سبعة أطوار من الحالات النشوية تتسلسل كالاتي: (١) وضع الهمجية الدنيا (Lower Status of Savagery) (٢) وضع الهمجية الوسطى (Middle Status of Savagery) (٣) وضع الهمجية العليا (Upper Status of Savagery) (٤) وضع البربرية الدنيا (Lower Status of Barbarism) (٥) وضع البربرية الوسطى (Middle Status of Barbarism) (٦) وضع البربرية العليا (Upper Status of Barbarism) (٧) وضع الحضارة الحالية (Status of Civilization).

وبحسب منظور مورغان؛ فإن العمر الكلي منذ الهمجية الدنيا إلى الحضارة الحالية يقدر بمئة ألف عام، قضى الإنسان خلالها ما يعادل ٦٠ ألف عام في مرحلة الهمجية، ٣٥ ألف عام من مراحل البربرية، والخمسة آلاف سنة الأخيرة في مرحلة الحضارة الحالية، ويتوزع الهنود الحمر تبعاً لنظرية مورغان بين المرحلة الثالثة والرابعة والخامسة من هذه الأطوار (Dippie, 1982, p. 103-105)؛ ممّا يعني أنّ الهنود الحمر الأكثر تطوّراً ممّن يقعون في المرحلة الخامسة بحاجة إلى ما لا يقل عن ١٥ ألف سنة للوصول إلى بداية مرحلة التحضّر التي يعيش الرجل الأبيض في ظلها حالياً.

وكما أشار منير العكش؛ فإنّ التصفية الجسدية للقبائل الهندية كانت تتم بناءً على ما أطلق عليه القانون العلمي للتطور الحضاري (Scientific Law of Cultural Evolution) (العكش، ٢٠٠٩، ص. ٨٥)، فهذا الاتجاه النشوئي وإن كان يرى احتمال تطور الهنود الحمر لكنه يضعه في صف الاحتمالات الأقرب للخيال وغير القابلة للتطبيق، ليفتح بذلك آفاق المشروعية الحتمية لفناء هذا الجنس البشري دون أن يكون للرجل الأبيض أو الحكومة التي تمثله أي دخل في عدم أخلاقياتها.

أما الطريق الثاني فقد أطلق عليه الخيار البيئي (Environmentalism) الذي تصدر توجهاته مجموعة من النقاد لسياسة الحكومة الأمريكية إضافة إلى بعض أنصار الكنيسة الكاثوليكية، حيث اتفق هؤلاء على أن عدم التعامل الإنساني مع الهنود الحمر من قبل السلطات الأمريكية وبعض الجماعات السياسية والاجتماعية هو السبب الرئيس وراء انقراض هذا الجنس البشري، كما يضيف أنصار هذا التيار أنّ الهنود الحمر لم تترك لهم الفرصة للالتقاء بالحضارة الأوروبية - المسيحية من خلال توجهاتها الانفتاحية التي فاض بها عصر التنوير، بل على العكس من ذلك فإن رجال العصابات واللصوص

والمجرمين والقراصنة والاستغلاليين هم الذين احتكوا أولاً بالهنود الحمر مما أّجج روح العداء بين الجنسين ورمى بظلاله على الموروث الفكري والمصالح السياسية للحكومات المستعمرة والحكومة الأمريكية الناشئة، وبناءً على ذلك فإن هذا الاتجاه يعاني إشكاليةً رئيسةً تتمثل في إبقاء التفكير مفتوحاً أمام رؤية رجال الحكومات الأمريكية الذين تعاقبوا على السلطة لقراءة قرنين من الزمان على أنهم إمّا رجالٌ متحضّرون وإمّا زمرةً من العصابات واللصوص والمجرمين.

ووفقاً لهذه المقاربة؛ فإنّ أنصار الطريق الثاني يتنادون إلى تعريف الهنود الحمر للتحضر عبر الوسائل الشرعية والمتاحة التي كان من المفترض أن تقوم بها الدولة الأمريكية ومؤسسات المجتمع المدني وخاصة الكنيسة منها، وقد رفع هذا الاتجاه شعاراً مهماً عنوانه (التحضّر أو الموت)؛ حيث يتضح بجلاء عند مراجعة معظم الأدبيات الخاصة بمدلولات هذا التحضر (Civilization) أنها تصب في اتجاه واحد وتنحصر في التحضر على الطريقة المسيحية، ومما لا شك فيه أن الدعوة إلى إقحام التحضر كإجراء نوعي لنقل هذا الجنس البشري من حالة إلى أخرى عبر الثقافة المسيحية إنما يدل على ما يسمى بالهيمنة الثقافية التي يمارسها المجتمع الأبيض بمؤسساته المدنية والسياسية، سواء بصورة مقصودة أو غير مقصودة، إذ يركّز هذا الاتجاه على أن عقل الهنود الحمر عبارة عن صفحة بيضاء لا يحمل أية انطباعات أو أفكار ثقافية من شأنها أن تتعارض مع إجراءات التحضّر على الطريقة المسيحية.

عمدت هذه التوجهات إلى اتخاذ منهجين لتغيير البنية الفكرية والحضارية والثقافية للهنود الحمر تمثّلاً بالزراعة والتعليم، ففي البعد الزراعي كانت الإجراءات تهدف إلى التحول المرحلي من أمسٍ الهمجيّة إلى حاضرٍ الفلاحة ثم إلى مستقبل المواطنة، وذلك في إطار قانون توزيع حصص الأراضي المشار

إليه سلفاً، والذي أدى إلى نتائج وخيمة على الهنود الحمر، كما لم يخلُ منهجُ التعليم بدوره من تهجينه بالأفكار والقيم والأحكام المسبقة كشروط أساسية لتجاوزه، وقد لخص الموظفون الذين عينتهم الحكومة الأمريكية في عام ١٨٧٩ لتعليم الهنود الحمر هذا الاتجاه بتأكيد أن «الطريقة الحقيقية الوحيدة للتحضر هي التحضر المسيحي، وأن التحضر من دون مسيحية لا تعدو كونها ثقافة بربرية» (Dippie, 1982, p. 112).

إن الحقيقة التاريخية المؤكدة التي لا تزال الولايات المتحدة الأمريكية، بل حتى الكثير من الصهاينة، متمسكة في نكرانها هي الإبادة الجماعية (Genocide) بحق الهنود الحمر، ومثل هذه الكلمة السحرية التي توظفها الصَّهْيُونِيَّةُ بشكل حصري (Exclusive) من أجل الدعاية السياسيَّة وتبرير كل ما يصدر عنها من أفعال متنافية مع القانون الإنساني - هي التي تمنع الاعتراف بأن ما حصل للهنود الحمر يمثل أكبر جريمة جماعية منظمة ورسمية لأحد الأجناس البشرية، وقد عمد البرفسور وارد شيرشيل (Ward Churchill) في كتابه المعنون: «مسألة صغيرة من الإبادة الجماعية» (A Little Matter of Genocide) إلى طرح هذه الإشكالية وتناولها من عدة جهات وحيثيات توصّل بعدها إلى نتيجة مفادها أن الولايات المتحدة وحلفاءها الأوروبيين، وإلى درجة أقل الاتحاد السوفييتي السابق، قد أدّوا دوراً أساسياً في الأمم المتحدة لكي يجعلوا مفهوم الإبادة الجماعية حصراً على إبادة اليهود من قبل النازيين بالدرجة الأولى وذلك لمنع سريان هذا التعريف على الأعمال التي قاموا بها تاريخياً ضد الشعوب التي استعمروها أو المعارضة لها أو المواطنين الأصليين فيها كالهنود الحمر (Churchill & Wall, 1997, p. 407-412).

وعلى الرغم من أن سياسية التعليم التي فرضتها الحكومة الأمريكية على الهنود الحمر كانت تستهدف سلب ثقافتهم كإجراء أخير للقضاء عليهم (العكس، ٢٠١٢، ص. ١٥-٢٠)؛ فإن التعليم الموجه الذي انخرط فيه أبناء الهنود الحمر قد أتى

ببعض الفوائد رغم علة الثقافية والفكرية على الأجيال الناشئة، ويعود الفضل في ذلك إلى الجهود الفردية التي بذلها بعض المخلصين والمؤمنين بحق هذا الجنس البشري في البقاء والحياة مثل الكابتن ريتشارد برات (Richard Bratt) الذي ترك بصمات واضحة على تعليم الهنود الحمر حتى بلغ الأمر أنه لُقّب بموسى الرجل الأحمر.

إنَّ أهم ما قدمه برات وأمثاله للهنود الحمر لا ينحصر في العملية التعليمية فحسب، بل إنَّ مساهمتهم في إثبات القدرة التعليمية للهنود الحمر قد مهّدت الطريق لتفنيد الأطروحات العنصرية المضادة حينذاك حول عدم قابلية الهنود الحمر للتعلّم لكونهم جنساً بشرياً متخلفاً وأخذاً بالانقراض (Dippie, 1982, p. 129)؛ ولذا كانت توجهات برات خطرة على المشروع التوسعي الاستيطاني الذي تهندسه السُّلطات السياسية وتقوم على تنفيذه المؤسسة العسكرية، حيث بادرت هذه الأخيرة التي تعمل ميدانياً على تصفية الهنود الحمر إلى تشجيع التوجُّهات الإعلامية والأكاديمية المؤيدة لهما، بمواجهة الفكر المعتدل حتى داخل بيت الرجل الأبيض بتكثيف الترويج لنظريات تكرّس خطر الهنود الحمر وتخلّفهم، ومن أمثلة تلك الحملات الدعائية إطلاق وصف الشيطان الأحمر (Red Devil) على الهنود الحمر بغرض تجذير القولبة الشعبية بين صفوف المجتمع الأمريكي.

إلى جانب ذلك سعت المؤسسة العسكرية إلى دعم المؤلفات والبحوث التي تصب نتائجها في مهام التصفية العرقية للهنود دون سواها من الأعمال الأكاديمية، ومن الأمثلة البارزة على ذلك قيام معهد الولايات المتحدة للخدمة العسكرية (Military Service Institute of The United States) بتقديم جائزة الميدالية الذهبية لأفضل بحث للكولونيل جون جيبون (John Gibbon) عام ١٨٨٠ في إطار موضوع خاص وضعته المؤسسة العسكرية وهو «سؤالنا حول الهنود الحمر» (Our Indian Question)، حيث طرح الكولونيل جيبون

آراءه العنصرية مشيرًا إلى أن الهنود الحمر عبارة عن حيوانات متوحشة في طريقهم إلى الانقراض ولا يمكن فعل أي شيء لمنع ذلك، كما أكد المحتفى به حتمية الصراع بين الجنسين الأبيض والأحمر مطالبًا بأن يزاح الأضعف ويختفى ليفتح الطريق؛ مضيفًا: «إنَّ الذي يرفض ذلك (يقصد المعارضين لهذا الرأي) فهو يرفض براهين أحاسيسنا ويريدنا أن نغلق أعيننا عن حقائق التاريخ» (Dippie, 1982, p. 131). ولا عجب أن جون جيبون الذي تم نشر بحثه بعد عام واحد في دورية المؤسسة العسكرية ذاتها - قام بتطبيق نتائج بحثه عمليًا في عام ١٨٩٠ بقيادته وإشرافه على مجزرة «الركبة الجريحة» (Wounded Knee) الشهيرة حيث تم تصفية ٣٠٠ من أصل ٣٥٠ إنسانًا من قبيلة السيوكس (Sioux) شملت الأطفال والنساء والرجال العزل (Brown, 1972, p. 417).

ولم تكن أفكار الكولونيل جيبون نمطًا فرديًا بل كان يمثل انعكاسًا للعقلية الأيديولوجية في المؤسسة العسكرية المؤتمرة بتوجيهات السلطة السياسية التي تبنت إستراتيجية التصفية العرقية، لذا فإنَّ العديد من التصورات المماثلة لأفكار جيبون لم تكن في محل التداول والترحيب فحسب، بل كانت تمثل الهالة الفكرية المسيطرة في أوساط المؤسسة العسكرية وخارجها في المؤسسات الرسمية وغير الرسمية الأخرى حينذاك، وقد عبّر هنري كلي (Henry Clay)، وزير الدولة في عهد الرئيس جون كوينزي آدمز (John Quincy Adams) عن هذا الاتجاه في عام ١٨٢٥ حينما قال بصراحة (Adams, 1874):

«إنَّ الهنود الحمر بطبيعتهم غير قادرين على التحضر وهم بالضرورة أقل درجة من العرق الأنجلوساكسوني وفي طريقهم إلى الزوال والانقراض بسرعة، وقد يأخذ ذلك فترة خمسين سنة» (90-p. 89).

لقد قطعت هذه التوجهات الفكرية العنصرية المطعّمة بمجموعة من الدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية والسياسية، والإحصائية المشكوك بمصداقيتها العلمية - الطريقَ أمام الرأي المخالف بالبروز، وبالنتيجة طغى مفهوم العنصر المنقرض (Vanishing Race) على ما سواه ليشكل أساساً بديهياً في غالب الجدل العلمي والشعبي آنذاك، وحرى بالذكر أن بعض النخب الفاعلة والمستقلة لم تستطع التحرُّر من قيود هذه الهالة الفكرية التي فرضتها القوى الأيديولوجية الأحاديّة النهج والهدف، كما خلقت الأيديولوجية البيضاء المتشددة طوقاً فكرياً حديدياً فشلت أجواء الديمقراطية والحرية في كسره؛ ممّا أدّى إلى تكريسها وحفرها في الأذهان، وبذلك ذابت حتى تلك الأفكار المهجّنة في أوساط النخب الإنسانية المعارضة للتوجه العنصري في متلازمة تبني المسيحية كأساس للتحضر والخلاص من حتمية انقراض السكان الأصليين. وخلاصة القول: لم يحصل السؤال الكبير حول مصير الهنود الحمر (The Indian Question) إلا على جواب واحد تجسّد في سياسية المخيمات المغلقة (Reservations).

ثالثاً: الفلسطينيون في مواجهة حتمية الصراع

١ - إحصاء للمواطنين الأصليين في فلسطين ونماذج التصفية للفلسطينيين والعرب:

نظراً لحدثة الزمان وتطور آليات التوثيق الميدانية والعلمية والتقنية يبدو أن الدلائل على تطبيقات الإبادة بحق الفلسطينيين تتمتع بمصداقية أبلغ من نظيرتها الخاصة بالهنود الحمر. وعلى الرغم من موثوقية المصادر والروافد العلمية والميدانية الدالة على التهجير القسري والتدمير المنهجي الذي حل بالفلسطينيين على يد المؤسسات اليهودية الرسمية وغير الرسمية؛ فإنها قد تتباين فيما بينها ولكن هذه الفروقات لا تشكّل على أي حال دليلاً قاطعاً على دحض الحقيقة الماثلة أمام الشهود العيان أو الصور والوسائط الموثقة لها، سواء من الجانب الفلسطيني نفسه أو من خلال المنظمات الدولية أو الرأي العالمي المستقل أو الباحثين المتخصصين.

جدول (٤) التركيبة السكانية بحسب الديانات اليهودية والمسيحية والإسلام في فلسطين (١٥٣٣-٢٠٠٠)

إجمالي عدد السكان	المسلمون	المسيحيون	اليهود	السنوات
١٥٧,٠٠٠	١٤٥,٠٠٠	٦,٠٠٠	٥,٠٠٠	١٥٣٩-١٥٣٣
٢٣٢,٠٠٠	٢١٩,٠٠٠	١١,٠٠٠	٢,٠٠٠	١٦٩١-١٦٩٠
٢٧٥,٠٠٠	٢٤٦,٠٠٠	٢٢,٠٠٠	٧,٠٠٠	١٨٠٠
٥٣٢,٠٠٠	٤٣٢,٠٠٠	٥٧,٠٠٠	٤٣,٠٠٠	١٨٩٠
٦٨٩,٠٠٠	٥٢٥,٠٠٠	٧٠,٠٠٠	٩٤,٠٠٠	١٩١٤

إجمالي عدد السكان	المسلمون	المسيحيون	اليهود	السنوات
٧٥٢,٠٠٠	٥٨٩,٠٠٠	٧١,٠٠٠	٨٤,٠٠٠	١٩٢٢
١,٠٣٣,٠٠٠	٧٦٠,٠٠٠	٨٩,٠٠٠	١٧٥,٠٠٠	١٩٣١
١,٩٧٠,٠٠٠	١,١٨١,٠٠٠	١٤٣,٠٠٠	٦٣٠,٠٠٠	١٩٤٧
٣,١١١,٠٠٠	١,٠٩٠,٠٠٠	٨٥,٠٠٠	١,٩١١,٠٠٠	١٩٦٠
٣,٧١٦,٠٠٠	١,٢٠٤,٠٠٠	١٠٢,٠٠٠	٢,٣٧٤,٠٠٠	١٩٦٧
٤,٥٦٨,٠٠٠	١,٤٤٧,٠٠٠	١١٦,٠٠٠	٢,٩٥٩,٠٠٠	١٩٧٥
٥,٩٠٨,٠٠٠	٢,١٦٦,٠٠٠	١٤٩,٠٠٠	٣,٥١٧,٠٠٠	١٩٨٥
٨,١١٢,٠٠٠	٣,٢٤١,٠٠٠	١٩١,٠٠٠	٤,٥٢٢,٠٠٠	١٩٩٥
٩,٣١٠,٠٠٠	٣,٨٩١,٠٠٠	٢١٧,٠٠٠	٤,٩٦٩,٠٠٠	٢٠٠٠

• المصدر:

- Pergola, Sergio Della. (2001, August). Demography in Israel/Palestine: Trends, Prospects, Policy Implications. Presented at IUSSP XXIV General Population Conference (S64) on Population Change and Political Transitions, Salvador de Bahia, Brazil (p. 5).

وبناءً عليه، سنعمد على مجموعة متنوعة من المصادر التي وثقت بعض الإحصائيات للاستدلال على مصداقية الحوادث ذات الصلة بتطبيقات الإبادة الجماعية وفداحتها التي ترقى إلى جرائم كبيرة ضد الإنسانية وأوجه تشابهها مع ما حدث للمواطنين الأصليين في أمريكا الشمالية، وفي الدرجة الأولى تتبين مؤشرات الإبادة الجماعية التي مارسها الصهاينة المهاجرون في فلسطين ضد الشعب الأصلي وعلى أرضه من خلال إحصاءات المواطنين الفلسطينيين منذ مطلع القرن العشرين، فبينما لم يتجاوز عدد اليهود في فلسطين ستة آلاف نسمة؛ أي: ما نسبته ٢٪ في عام ١٨٣٩، كان مجموع الشعب العربي الفلسطيني

قراية ٣٠٠ ألف مواطن، ولكن بحلول عام ١٩١٤ ارتفعت نسبة المكون اليهودي إلى ٥,٨٪ لتمثّل ٤٠ ألف نسمة، وما لبث هذا العدد أن تضاعف إلى ٨٣ ألفاً ونسبة ١١٪ في عام ١٩٢٢ حتى بلغ عدد اليهود ذروته عشية عام ١٩٤٨ بنحو ٦٥٠ ألف نسمة وهو ما شكل ٣٠٪ من المجموع الكلي للسكان في حينه (السهلي، ٢٠٠٤، ص. ٣١-٣٣؛ خليفة، عايد، شوفاني، عبد الهادي، غانم، قهوجي وآخرون، ٢٠٠٤، ص. ١٩٥-١٩٧).

وفي سياق مشابه لحالة الهنود الحمر، يعكس الجدول (٤) والجدول (٥) التسلسل التاريخي لحركة التركيبة الدينية ونسبتها من إجمالي عدد السكان في فلسطين منذ بدايات القرن السادس عشر، إضافة إلى المؤشرات التصاعدية للهجرات المنظمة لليهود مقابل الهبوط الحادّ في أعداد الفلسطينيين عشية إعلان دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ وفق بعض المصادر اليهودية (Rabinovich & Reinharz, 2008, p. 571-572; Pergola, 2001, p.5). كما يوضح الشكل (٣) والشكل (٤) منحنيات التراجع والانتعاش السكاني للمواطنين الأصليين من العرب الفلسطينيين بمكوّنيه المسيحي والمسلم في مقابل النمو السكاني لليهود وغالبيتهم من المهاجرين خلال الفترة ما بين ١٥١٧ إلى ٢٠١٩.

كما يبين الجدول (٦) السلسلة الزمنية الطويلة من الهجرات الجماعية الواسعة والمنظمة على مدى قراية قرن من الزمن بدءاً من عام ١٨٨٠، والتي شهدت ستة تدفقات بشرية هائلة من مختلف مناطق شرق ووسط أوروبا شملت روسيا وبولندا ورومانيا وألمانيا وبحر البلطيق إضافة إلى مناطق متفرقة من الشرق الأوسط، وبلغ مجموعها أكثر من نصف مليون يهودي، وصل نصفهم تقريباً مع قيام الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ تحت إشراف الحكومة البريطانية فترة الانتداب.

إلا أن محاولات التغيير الديمغرافي القسري لم تنجح في ترجيح كفة الميزان السكاني لصالح اليهود؛ إذ احتفظ الفلسطينيون بأغليبتهم المطلقة إلى ما قبل عام ١٩٤٨؛ ممّا حدا بالعصابات الصّهيونيّة على اللّجوء إلى أسلوب المجازر الجماعيّة لفرض هذا التغيير الديمغرافي على الأرض، والتي بلغ عدّها خلال وبُعيد عام ١٩٤٨ (٣٤) مجزرةً، علاوة على تدمير ٦١٣ من أصل ٧٩٥ قرية فلسطينية وتهجير أهلها، ونتيجة لتلك الإبادة الجماعية والتهجير القسري هبطت نسبة الفلسطينيين إلى ١٧٪ في عام ١٩٤٩ (موقع المعرفة الإلكتروني، ٢٠١٥).

وتتوافق التصفيات العرقية التي قامت بها إسرائيل ضد الفلسطينيين والعرب، من ناحية كثرتها العددية وطريقة تنفيذها، مع العمليات الميدانية للقوات الأمريكية بحق الهنود الحمر؛ فخلال الفترة ما بين عامي ١٩٤٧ إلى ٢٠٠٢، تم إتمام ١١ مذبة بحق الفلسطينيين على يد المؤسسات الرسمية الصهيونية، كما بلغ عدد السكان العرب ممّن يسكنون في المناطق التي تم منحها لليهود بموجب قرار التقسيم الأممي عام ١٩٤٧ نحو ٢٤٣ ألف مواطن موزعين على ٢١٩ مدينة وقرية، وقد تم تهجير ٢٣٩ ألفاً منهم علاوة على تدمير ١٩٠ من قراهم، علاوة على ترحيل نحو ١٢٢ ألف عربي من الأراضي التي يفترض أن تكون فلسطينية وفق القرار الدولي نفسه (داود، ٢٠٠٤).

جدول (٥) عدد السكان اليهود وغير اليهود ونسبة اليهود من إجمالي عدد السكان في فلسطين (١٥١٧-٢٠١٠)

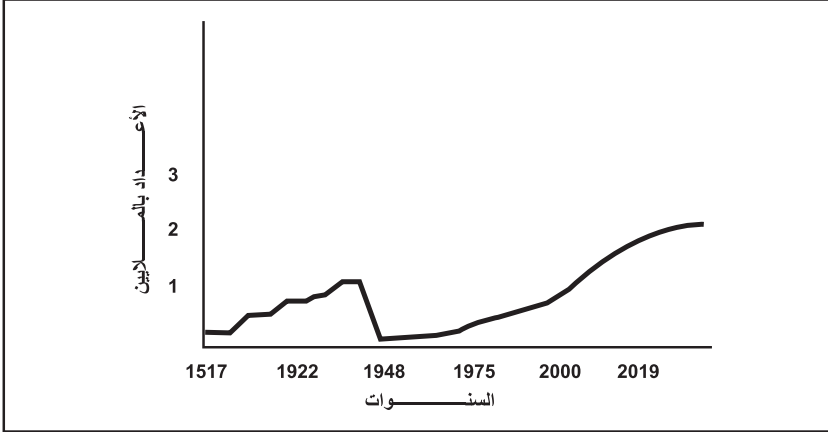
السنوات	اليهود	غير اليهود	عدد الإجمالي للسكان	النسبة المئوية لليهود
١٥١٧	٥,٥٠٠	٢٩٥,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠~	١,٧٪
١٨٨٢	٢٤,٠٠٠	٢٧٦,٠٠٠	٣٠٠,٠٠٠	٨,٠٪
١٩١٤	٨٥,٠٠٠			
١٩١٨	٦٠,٠٠٠	٦٠٠,٠٠٠	٦٦٠,٠٠٠	٨,١٪
١٩٢٢	٨٤,٠٠٠			
١٩٣١	١٧٤,٦١٠	٨٦١,٢١١	١,٠٣٥,٨٢١	١٦,٩٪
١٩٣٦	٣٨٤,٠٧٨	٩٨٢,٦١٤	١,٣٦٦,٦٩٢	٢٨,١٪
١٩٣٩	٤٤٩,٠٠٠			
١٩٤٦	٥٤٣,٠٠٠	١,٢٦٧,٠٣٧	١,٨١٠,٠٣٧	٣٠,٠٪
١٩٤٨	٧١٦,٧٠٠	١٥٦,٠٠٠	٨٧٢,٧٠٠	٨٢,١٪
١٩٥٠	١,٢٠٣,٠٠٠	١٦٧,١٠٠	١,٣٧٠,١٠٠	٨٧,٨٪
١٩٥٥	١,٥٩٠,٥٠٠	١٩٨,٦٠٠	١,٧٨٩,١٠٠	٨٨,٩٪
١٩٦٠	١,٩١١,٣٠٠	٢٣٩,١٠٠	٢,١٥٠,٤٠٠	٨٨,٩٪
١٩٦٥	٢,٢٩٩,١٠٠	٢٩٩,٣٠٠	٢,٥٩٨,٤٠٠	٨٨,٥٪
١٩٧٠	٢,٥٨٢,٠٠٠	٤٤٠,١٠٠	٣,٠٢٢,١٠٠	٨٨,٥٪

السنوات	اليهود	غير اليهود	عدد الإجمالي للسكان	النسبة المئوية لليهود
١٩٧٥	٢,٩٥٩,٤٠٠	٥٣٣,٨٠٠	٣,٤٩٣,٢٠٠	٪٨٤,٧
١٩٨٠	٣,٢٨٢,٧٠٠	٦٣٩,٠٠٠	٣,٩٢١,٧٠٠	٪٨٣,٧
١٩٨٥	٣,٥١٧,٢٠٠	٧٤٩,٠٠٠	٤,٢٦٦,٢٠٠	٪٨٢,٥
١٩٩٠	٣,٩٤٦,٧٠٠	٨٧٥,٧٠٠	٤,٨٢١,٧٠٠	٪٨١,٩
١٩٩٥	٤,٥٢٢,٣٠٠	١,٠٩٠,٠٠٠	٥,٦١٢,٣٠٠	٪٨٠,٦
٢٠٠٠	٤,٩٥٥,٤٠٠	١,٤١٣,٩٠٠	٦,٣٦٩,٣٠٠	٪٧٧,٨
٢٠٠٥	٥,٣١٣,٨٠٠	١,٦٧٦,٩٠٠	٦,٩٩٠,٧٠٠	٪٧٦,٠
٢٠١٠	٥,٨٠٢,٩٠٠	١,٨٩٢,٢٠٠	٧,٦٩٥,١٠٠	٪٧٥,٤

• المصدر:

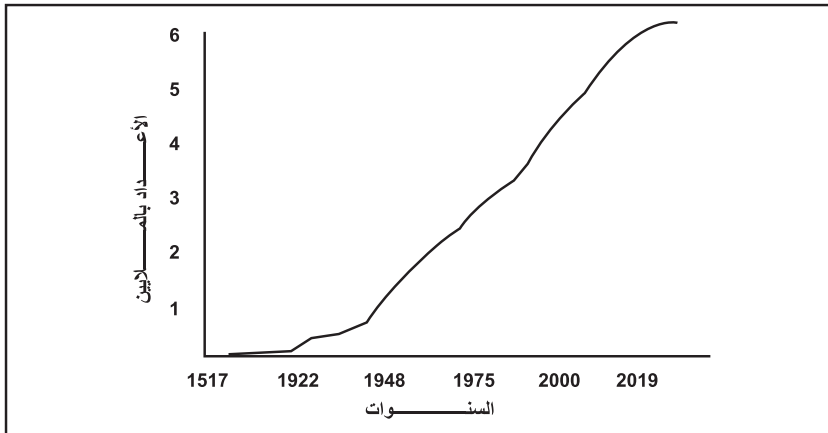
- Rabinovich, Itamar & Reinhartz, Jehuda. (Eds.). (2008). Israel in the Middle East: Documents and Readings on Society, Politics, and Foreign Relations, Pre-1948 to the Present. Waltham, MA: Brandeis University Press (p. 571-572).

شكل (٣) التراجع والانتعاش السكاني للمواطنين العرب في فلسطين
(١٩١٧-٢٠١٩)*



* تم إعداد هذا الشكل وفق الإحصائيات المقتبسة من الجدولين (٤، ٥).

شكل (٤) النمو السكاني لليهود في فلسطين
(١٩١٧-٢٠١٩)*



* تم إعداد هذا الشكل وفق الإحصائيات المقتبسة من الجدولين (٤، ٥).

جدول (٦) موجات الهجرة اليهودية إلى فلسطين وجهات قدومها قبل إنشاء دولة إسرائيل (١٨٨٠-١٩٤٨)

الموجة	الفترة	أعداد المهاجرين	جهة القدوم
الموجة الأولى	١٨٨٠-١٩٠٣	٢٥,٠٠٠	روسيا، بولندا، رومانيا
الموجة الثانية	١٩٠٤-١٩١٤	٣٤,٠٠٠	روسيا، شرق أوروبا
الموجة الثالثة	١٩١٩-١٩٢٣	٣٥,١٠٠	مناطق بحر البلطيق، روسيا، بولندا
الموجة الرابعة	١٩٢٤-١٩٣١	٧٨,٨٩٨	بولندا، رومانيا، الشرق الأوسط
الموجة الخامسة	١٩٣٢-١٩٣٩	٢٢٤,٧٨٤	ألمانيا، أوروبا الغربية، بولندا
الموجة السادسة	١٩٤٠-١٩٤٨	١١٨,٣٠٠	وسط أوروبا، البلقان، بولندا، الشرق الأوسط
الإجمالي	١٨٨٠-١٩٤٨	٥١٦,٠٨٢	

• المصدر: السهلي، نبيل (٢٠٠٤). فلسطين.. أرض وشعب: منذ مؤتمر بال وحتى ٢٠٠٢. دمشق: اتحاد الكتاب العرب (ص. ٢٨).

ومثلما أقدم القائد شيفنغتون على قتل الهنود الحمر، قامت عصابات الهجانا اليهودية المسلحة بالقضاء على ٤٠٠ فلسطينيٍّ بدم بارد في مذبحه اللد في عام ١٩٤٨، كما أجهزت جماعات شبه عسكرية أخرى مدفوعة من المؤسسة الرسمية على حياة ما بين ٥٠٠ إلى ١٦٠٠ مدنيٍّ مسالم في مذبحه عُرِفَتْ بخان يونس، وذلك في عام ١٩٦٥. أمَّا المذبحة الأكبر التي أدارها

الجيش الإسرائيلي بنفسه وبالاشتراك مع المتعاونين معه مباشرة، فكانت في مخيم صبرا وشاتيلا حيث تم إبادة نحو ٣٠٠٠ فلسطيني غالبيتهم من الأطفال والنساء في غضون ٤٨ ساعة فقط (عزام، ٢٠١٤).

أما على صعيد هدم منازل المواطنين والاستيلاء على الأراضي بالقوة، فقد استحوذت إسرائيل على الأراضي الفلسطينية تباعاً وبشكل متواصل دون مراعاة للقانون الدولي أو قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة، وبغض النظر عن تباين البيانات بشأن الأصول والمنشآت والممتلكات التي صادرتها السلطات الإسرائيلية من مرجع لآخر.

وقد لا يكون من أهداف هذه الدراسة حصر جميع عمليات الاستيلاء على الأرض بشكل دقيق، غير أن الإشارة إليها تكشف فداحة الجريمة بما يخدم المقاربة مع حالة الهنود الحمر في أمريكا الشمالية؛ إذ يمكن القول باستحواذ اليهود بصفة شخصية أو رسمية على نحو ٧٧٪ من الأراضي الفلسطينية الواقعة تحت الانتداب وذلك في أعقاب عام ١٩٤٨، في حين أنهم لم يملكوا أكثر من ٦,٥٩٪ منها قبل ذلك التاريخ، حيث شهدت عمليات الاستحواذ هذه طرد وتشريد ما يقارب ٧٢٦ ألف مواطن فلسطيني خلال عامي ١٩٤٧-١٩٤٨ فقط (فيشباخ، ٢٠١٣، ص. ٤)، كما يقدر إجمالي ضحايا التهجير الجماعي بين صفوف الفلسطينيين أو تشتيتهم على مدى تاريخ الصراع الإسرائيلي-الفلسطيني أكثر من ٥,٤٨٩ مليون نسمة، استقر منهم قرابة ١,٥ مليون في قطاع غزة والضفة الغربية بينما تفرق البقية على الدول العربية والعديد من دول العالم؛ مما يرفع المجموع الإجمالي للسكان الفلسطينيين إلى نحو ٨,٣٠٠ مليون نسمة تقريباً ليتجاوز نسبة اللاجئين منهم حدود الـ ٦٥٪ (أبو ستة، ٢٠٠٤).

كما تختلف المصادر بشأن عدد القرى والمدن الفلسطينية التي تم تدميرها وطرد سكانها الأصليين منها، لكنَّ التقديرات الإحصائية تحصر ذلك ما بين ٣٦٠ قرية بحسب المصادر الإسرائيلية مقابل ٤٢٩ موقعاً وفقاً للمرجعيات الدَّولية والفلسطينية (فيشباخ، ٢٠١٣، ص. ١٦). وتأسيساً على نظرية العودة؛ فقد استوطن في العديد من هذه المناطق المَغْتَصبة ما بين ١٢٣,٦٦٩ إلى ٣٩٣,١٧٩ مهاجرًا يهوديًا خلال الفترة الممتدة بين عامي ١٩٤٨ إلى ١٩٥٢ (فيشباخ، ٢٠١٣، ص. ٢٤).

ومن غرائب الاحتلال والاستحواذ استمرار وجود نحو ٢٥٠ ألف لاجئ فلسطيني في مناطق خاضعة لسيطرة السلطة الإسرائيلية، لا يستطيعون العودة لأراضيهم رغم إعطائهم الوعود بالعودة إلى ديارهم خلال أسبوعين منذ عام ١٩٤٨ (أبو ستة، ٢٠٠٤). وعلى الرغم من أنهم قد حصلوا على أحكام قضائية تسمح لهم بذلك، فإنَّهم لا يزالون لاجئين محتجزين لما يربو على نصف قرن من الزَّمن في ظروف مشابهة لما عاناه العديد من قبائل الهنود الحمر وَفَّق ما تم عرضه في القسم السابق من هذه الدراسة.

٢- التصفية والاستيلاء عبر المسوغات الدينية والقانونية:

ليست هناك أية اختلافات أيديولوجية جوهرية بين عقيدة الإبادة التي تبنتها عقلية التفوق العرقي تجاه الهنود الحمر قبل أكثر من أربعمئة سنة والمنطلقات الفكرية لما يواجهه الفلسطينيون منذ عام ١٩٤٨؛ فهذه العقلية المشتركة متَّصلة عضويًا وتاريخيًا في بوتقة واحدة عنوانها البقاء للأقوى.

وعلى الرغم من بُعد علاقة هذه العقيدة بالديانتين المسيحية واليهودية، فإنَّه تمَّ توظيف تفسيرات لاهوتية لبعض مبادئهما الطقسية من أجل بلوغ غاية سياسية محددة تتمثل في تصفية الآخر تنفيذًا لمنظور (الغاية تبرر الوسيلة)؛

ومثلما برّر المتطهّرون الأوائل وهم (١٠٢) مئةً وشخصان ممّن عبروا المحيط الأطلسيّ على ظهر السفينة الميفلاور (Mayflower) عام ١٦٢٠ توظيف مفهوم (مدينة على جبل) باعتبار أمريكا الجديدة أرض الميعاد، فقد تم تبرير إقامة الكيان الصّهيوئيّ على أرض الميعاد الجديدة في فلسطين.

في الواقع، كانت الحملة الصليبية الأولى تنبئ بهذا الربط العضوي بين الطرفين الصهيوئي من جهة والأنجلوساكسوني من جهة أخرى، وذلك باسم الديانتين المسيحيّة واليهوديّة قبل أن يعبر المتطهّرون الأوائل المحيط الأطلسي وقبل مجيء المهاجرين المستوطنين اليهود من الشتات إلى فلسطين، حيث تنضح هذه الحقيقة الدموية الملازمة للتعصب أينما كان في كتاب القسيس فوشيه الشارترتي (Foucher de Chartres) المعنون: (تاريخ الحملة إلى القدس)، والذي صاحب الحملة الصليبية الأولى ما بين عامي ١٠٩٥-١١٢٧، فقد أشار في حديثه عن الحملة لبيت المقدس إلى أنّ البابا أربان الثّاني الذي دعا لتلك الحملة كان يحفز الملوك والقساوسة بالقول (الشارترتي، ٢٠٠١):

ومن ثمّ فإنّني وبصلاة خاشعة أحتكم، بل إنّ الرب هو الذي يحتكم، بصفتكم قساوسة المسيح أن تحضّوا الناس من شتى الطبقات، من الفرسان ومن الجنود المشاة، أغنياء وفقراء، بأن يسارعوا لاستئصال شأفة هذا الجنس (يقصد المسلمين في القدس) الشّرير من أرضنا، وأنّ تساعدوا السكان المسيحيين قبل فوات الأوان ... يا له من عار إذا قام جنس خسيس مثل هذا، جنس منحل تستعبده الشياطين، بهزيمة شعب يتحلّى بإيمان عظيم الرب، ويزهو ويتألق باسم المسيح (ص. ٨٤-٨٥)

وفي وصف رهيب للمجازر التي ارتكبتها الصّليبيّون في فلسطين أضاف الشارترتي (٢٠٠١):

وكثيرون من المسلمين الذين تسلقوا قمة معبد سليمان هاربون أصابتهم السهام في مقتل فسقطوا من فوق السقف، وتم ذبح حوالي عشرة آلاف في المعبد، ولو كنت موجوداً هناك لغاصت قدمك حتى العقبين في دماء المذبوحين، ترى ماذا أقول؟ إننا لم نترك أحداً منهم على قيد الحياة ولم ينجُ حتى النساء والأطفال ... كم سيكون المنظر مدهشاً لو أنك رأيت فرساننا ومشاتنا بعد أن اكتشفوا خداع المسلمين، فشقوا بطون الذين ذبحوهم لكي يستخرجوا من المعدة والأمعاء العملات الذهبية التي كان المسلمون قد ابتلعوها وهم أحياء، ولنفس السبب قام رجالنا بعد أيام قليلة بجمع كومة من الجثث وأحرقوها حتى صارت رماداً بحيث يمكنهم أن يجدوا الذهب الذي ذكرنا خبره بسهولة (ص. ٧٣١)

من مثل هذه النصوص وغيرها تتبين تأثيرات أسطورة العودة أو أرض الميعاد والتّمهيد للمسيح بجلاء، حيث تم توظيفها من أجل غايات سياسية مدروسة بعناية، كما تعكس هذه المقتطفات اللاهوتية المهجّنة سياسياً مدى الرغبة والقدرة على الفتك بالآخر وسلبه كل ما يملك من مال وأرض وشرف من أجل تلك النهايات التي يتم تلبيسها بأغطية دينية خيالية لا وجود لها إلا في عقول المتعصّبين لكنّها تطغى بشعبيّتها الهوجاء حينما يقرر السياسيون ذلك.

وقد ذكر محمّد الدبش في هذا السياق أن مصطلح «مدينة على جبل» (City Upon the Hill) أسطورة تأسست عليها الثقافة الأمريكية وتعود إلى منتصف القرن السابع عشر عندما أخبر جون وينثروب (John Winthrop) مجموعة من البروتستانت البيوريتانيين (التطهريين) الذين كان يقودهم إلى العالم الجديد بأنهم في رحلة «لم يباركها الرّب فحسب، بل إنّه يشارك فيها»، وأضاف: «إنّنا سنجد ربّ إسرائيل بيننا عندما سيتمكّن العشرة منّا من منازل

ألف من أعدائنا، وعندها سيعطينا مجده وأبهته، وعندها يتوجّب علينا أن نجعل من نيو إنغلاند (New England) مدينةً على جبل» (الدبش، ٢٠١٧).

يقابل جون وينثروب على الطرف الآخر وليام بلاكستون (William Blackstone)، وهو من أبرز الشخصيات الأمريكية الوثيقة الصلة بالكنيسة البروتستانتية والداعمة لفكرة عودة اليهود إلى فلسطين كمتطلب ضرورة لتمهيد عودة المسيح، فعمل جاهداً من أجل فكرة استيطان اليهود في فلسطين حيث أصدر كتاباً بعنوان: (عيسى قادم) ذاع صيته بين السياسيين والقساوسة في الولايات المتحدة، كما أنه تواصل مع الرئيس بنيامين هاريسون (Benjamin Harrison) لإقناعه بضرورة دعم فكرته (عنا، ٢٠٠١، ص. ٣٠).

لقد أصبحت فكرة مدينة صهيون أو أرض الميعاد تراود الحلم الأمريكي الذي ما لبث أن يراه يتحقق على يد آرثر بلفور (Arthur Belfour)، فتمحور على الفور بشكل عملي لتحويل الأسطورة من كونها مجرد خيالات تفسيرية إلى تطبيق لما ورد في الكتاب المقدس لأرض أورشليم التي يمتلكها اليهود وفقاً لنصوص مبتورة ومشوهة، ولم يكن ذلك التحول مجرد استغناء عن الفكرة القديمة حول (مدينة على جبل) بل امتداداً جغرافياً بين هذه المدينة إلى القدس من أجل بسط السيطرة الزمانية والمكانية السياسية عليها بغلاف ديني.

واستناداً إلى المقاربة الزمانية والمكانية (الزمكانية)، انتشر العديد من المؤسسات المتطرفة عرقياً ودينياً من الغرب الأمريكي إلى شرقها تحت غطاء من الهيئات المدنية غير الحكومية التي تحظى بنشاط شعبي موسّع وبحضور سياسي فاعل وضاعط على الإدارة الأمريكية (زكاء الله، ٢٠٠٧، ص. ١٠٧-١١٢)، ولعلّ في طليعة تلك المنظمات مؤسّسة الأغلبية الأخلاقية ومقرّها واشنطن ومنظمة اتحاد الحُرّيّة التّابعتين إلى كنيسة شارع توماس المعمدانيّة التي يترأسها جيري فولويل (Jerry Falwell).

يتمتع جيري فولويل بنشاطات دينية واسعة حيث قام بتأسيس شبكة مؤسسات كبيرة ومتنوعة الاختصاصات كالمدارس الابتدائية والثانوية وجامعة الحرية (Liberty University)، وشركة طيران باسم خطوط الربّ الجويّة (The Lords Airline)، وبرامج إعلامية منها برنامج ساعة من إنجيل الماضي التّلفزيونيّ (Old-Time Gospel Hour)، ويضاف إلى ذلك حلقات جيري فولويل على الهواء الإذاعية وغيرها من برامج كثيرة تمتد إلى ٣٩٢ محطة مرئية علاوة على إصدار الكثير من المطبوعات كالرسائل الخاصة التي تربو على ١٠٠ مليون رسالة يبعث بها سنوياً.

من جانب آخر، يشرف فولويل على إصدار تقرير الأغلبية الأخلاقية الشهري الذي يبلغ عدد المشتركين به أكثر من مليونين ونصف أغلبهم من السياسيين ورجال الأعمال وغيرهم من النشطاء على الساحة الإعلامية والاجتماعية، كما يتحرك علناً في دعم إرهاب الدولة في إسرائيل لدرجة الرذيلة السياسية أحياناً وإن تعارضت مع السياسة المعلنة للولايات المتحدة الأمريكية، فعندما قامت القوات الإسرائيلية بقتل المدنيين اللبنانيين في يوليو ١٩٨١ وراح نتيجة ذلك نحو ٢٠٠ من المدنيين أعلن فولويل مباركته لرئيس الوزراء مناحيم بيغن وتشجيعه لما وصفه بإبهاج روحه لارتكاب تلك المذابح، بل إنّ تماديه جعله يقر ذات مرّة بأنه صهيونيّ وأنّ حدود إسرائيل يجب أن تمتد إلى كل الأرض الموعودة بما في ذلك سوريا وتركيا والسعودية والعراق ومصر والسودان ولبنان والأردن وحتى الكويت، ولم يُخفِ فولويل ابتهاجه وفخره بذلك القتل بل باركه من خلال برنامجه ساعة من الإنجيل في عام ١٩٨٢ بعيد الغزو الإسرائيليّ للبنان، ودعا في سبيل تحقيق ذلك إلى جمع التبرعات دعماً للكيان الصهيوني لأغراض كثيرة، منها تأسيس بعض المنظّمات المتطرّفة مثل اليمين الإسرائيلي الجديد بقيادة أفغدور إسكين (Avigdor Eskin)، المتطرف

الصَّهْيُونِيّ من أصل روسي الذي يحرض على قتل جميع العرب والمسلمين ونفيهم من أراضيهم وهدم منازلهم.

ويبلغ دعم الإرهاب ذروته في نشاطات بات روبنسون (Pat Robinson)، ذلك القس الشهير في الولايات المتحدة، الذي يمتلك إحدى أكبر محطات الإعلام باسم شبكة الإذاعة المسيحية (Christian Broadcasting Network, CBN)، ويعلن روبنسون خلال برنامجه المشهور نادي السَّبْعَمئة (Club 700) أنَّ إسرائيل هي أُمَّة الله المفضلة ويؤيد احتلالها للأراضي العربية على الرغم من معارضة بلاده لذلك رسمياً، ولم يتردد روبنسون إطلاقاً في تأييد كل ما تقوم به إسرائيل ضد الفلسطينيين لأنها إرادة الرب بالنسبة له، بل إنَّه طغى في تماديه حينما قام بامتلاك وإدارة قناة تلفزيونية بالجنوب اللبناني المحتل وأطلق عليها اسم نجمة الأمل، داعياً الحكومة الأمريكية بشكل صريح ومباشر إلى دعم إسرائيل وتشجيعها لمواصلة غزوها للبنان إلى الحد الذي تراه ضرورياً لأمنها، إذ يرى روبنسون في سياق تحليله للغزو الصهيوني أنه نقطة تحول لإلحاق الهزيمة بـأجوج (روسيا) ومأجوج (العرب)، كما لا يخفي دعمه المالي الكبير للكيان الصهيوني في بناء المستعمرات ونفي العرب ممَّا يحصل عليه من ريع التبرعات الخيرية في الولايات المتَّحدة (الحسن، ١٩٩٠، ص. ١٧٠).

أيضاً، تعد رعية المغامرة الكبرى (High Adventure Ministry) في الولايات المتحدة الأمريكية التي أسسها الكهنوتي المعروف جورج أوتيس سميث (George Otis Smith) مثلاً آخر على تجسيد الالتزام بأمن الكيان الصهيوني تأسيساً على ما تزعمه من تنبؤات تورائية، فقد أنشأت الرعية بدورها إذاعة صوت الأمل على الأراضي اللبنانية في الجنوب إبَّان الاحتلال الإسرائيلي لترويج الدعاية للصهاينة وسبِّ المسلمين ودينهم في المقابل وذلك من خلال التبرعات المعفاة من دافعي الضرائب الأمريكيين، كما قامت هذه

المنظمة بافتتاح محطة تلفزة بالجنوب اللبناني أسمتها بمحطة الشرق الأوسط، بل أقدمت بإصرار على إعادة بناء المحطة المذكورة مجدداً بعدما استهدفتها المقاومة اللبنانية ونسفت مبانيها وتم توظيف نحو مئة أصولي أمريكي فيها تعبيراً عن دعمها الإعلامي لصالح الكيان الصهيوني.

في هذا السياق يبرز أحد القواسم المشتركة الجديدة مع الحالة اليهودية وعقيدة الرجل الأبيض تجاه الهنود الحمر، حيث صنفت عملية تفجير المحطة التلفزيونية الدعائية لإسرائيل من قبل المقاومة اللبنانية بالعمل الإرهابي مثلما كان يتم وصف أنشطة مقاومة الهنود الحمر للاحتلال والانتهاكات التي قام بها المهاجرون الأوائل والبريطانيون والأمريكيون بعد إعلان استقلال دولتهم.

أمّا ما يسمى بالسفارة المسيحية الدولية - القدس التي تأسست عام ١٩٨٠، فتكفي الإشارة إلى أنها تأتي في صدارة المنظمات الدينية الأمريكية المحرّضة جهاراً على الاحتلال الكامل للقدس. وإلى جانب جمعها للأموال الداعمة للإرهاب قامت تلك السفارة بحملة واسعة للتبرع بالدم دعماً للجيش الإسرائيلي خلال اجتياحه للبنان وقتله المدنيين الأبرياء، وذلك إبرازاً للبعد العقائدي في الصراع الإسرائيلي العربي.

وعلى العكس من إدانة الحكومة الأمريكية لهذه النشاطات الداعمة للإرهاب، قام الكونغرس مرات عديدة بدعوة أعضاء هذه المنظمة بصفقتهم إلى جلسات استماع للاستفادة من رأيهم فيما يتعلق بالصراع العربي - الصهيوني، كما تقوم هذه المنظمة بترتيب زيارات ميدانية لنشطاء أصوليين مسيحيين إلى المستوطنات في الأراضي المحتلة كالضفة الغربية وقطاع غزة لإقناعهم بأهمية التوسع الصهيوني من خلال تبرعاتهم التي ستمهد لظهور المسيح (ع)، حيث قامت فعلياً بإنشاء صندوق دولي برأس مال يبلغ مئة مليون دولار

للاستثمار داخل إسرائيل على أن يعطي أولوياته للثقافة والسياحة، والأهم من ذلك المساهمة المباشرة في بناء المستوطنات التي تعتبر ضرباً من ضروب الإرهاب الرسمي المقنن والمبرمج والمنظور أمام وسائل الإعلام العالمية، وذلك على عكس ما كان عليه الوضع إبان الفتك بالهنود الحمر حيث تم تصويرها لاحقاً عبر أفلام الهوليوود.

وتستمر قائمة الأمثلة لتشمل مؤسسة جبل المعبد ذات الفروع واللجان العنكبوتية الكثيرة التي تشترك في نفس نشاطات سابقاتها، لكنها تتفرد عنها بالدفاع المستميت عن المعتقلين الصهاينة الذين أتلفوا المسجد الأقصى باعتبارهم (أبناء إسرائيل المخلصين)، وبتحويل مباشر من كبار الرأسماليين ممن تُخصّص تبرعاتهم السنوية بالملايين لدعم أعمال الصهاينة وممارستهم الإجرامية في تخريب المعالم والآثار الإسلامية وتشريد الآلاف من العوائل وانتزاع الأشجار وإهلاك الحرث والنسل. وتسهيلاً للانسياب الحر للتبرعات؛ فقد تأسس المصرف المسيحي - الأمريكي لأجل إسرائيل كوسيط مالي لنقل التبرعات وشراء الأراضي وبناء المستوطنات، وقد جمعت المنظمة في عام ١٩٨٤ نحو مئة مليون دولار لبناء مستوطنات في منظمة الجليل، علاوة على الملايين الأخرى لتهديد الأراضي المحتلة بما في ذلك الضفة الغربية.

ولولا مقتضيات الاختصار لكانت الأمثلة أكثر لتشمل منظمة المائدة المستديرة الدينية التي يترأسها القس إدوارد ماك أثير، ومؤتمر القيادة المسيحية الوطنية لأجل إسرائيل التي أسسها الأصولي الصهيوني فرانكلين ليتيل، ومنظمة (مسيحيون متحدون من أجل إسرائيل) بقيادة القس الكاثوليكي ديفيد لويس، إضافة إلى العديد من الشخصيات والمؤسسات الإعلامية وحتى الأكاديمية والبحثية التي تدعو علناً لدعم الكيان الصهيوني وتشجع أعماله الإرهابية ضد الأبرياء في الأراضي المحتلة ولبنان وغيرها من الدول العربية،

وإن كانت تلك الأعمال مدانة من قبل الحكومة الأمريكية نفسها أو حتى السلطة الإسرائيلية ظاهرياً (الحسن، ١٩٩٠، ص. ٤٣-٥٠).

كما يتعين معرفة أنه لا خلاف بين الثقافة السياسية التي تتبناها المؤسسات والشخصيات الأمريكية غير الحكومية مثلما تمت الإشارة إليه مع التوجهات الرسمية للحكومة الأمريكية متمثلة في معظم الرؤساء الذين توالوا على كرسي البيت الأبيض منذ إعلان قيام دولة الولايات المتحدة الأمريكية، وفي هذا الصدد شرح يوسف حداد (٢٠٠٤) في مؤلفه (هل لليهود حقٌ ديني أو تاريخي في فلسطين؟) كيف تعاطف رؤساء الولايات المتحدة الأمريكية منذ الرئيس جورج واشنطن (١٧٨٩-١٧٩٧) حتى الرئيس بيل كلينتون (١٩٩٢-٢٠٠٠) مع اليهود بدءاً بحقهم في إقامة دولتهم المستقلة، مروراً بمباركة قيامها رسمياً عام ١٩٤٨ من جانب واحد، وانتهاءً بالالتزام الإستراتيجي بالدفاع عن أمنها ووجودها في إطار المصلحة القومية الأمريكية في مقابل تجاهل الحقوق الفلسطينية القانونية والسياسية والأخلاقية، مبيناً أن الرئيس الثاني للولايات المتحدة جون آدمز (١٧٩٧-١٨٠١) (John Adams) كان من أوائل من دعا بصراحة تامة إلى إقامة دولة مستقلة لليهود حينما كتب رسالة لصحفي صهيوني يدعى مانويل نوح قائلاً: «أتمنى أن أرى ثانية أمة يهودية مستقلة في يهوذا»، في إشارة إلى مملكة يهوذا المزعوم موقعها ضمن ما يعرف بالأراضي الفلسطينية اليوم وفقاً للتاريخ اليهودي المشكوك في صحته (حداد، ٢٠٠٤، ص. ٣٩٥)، وذلك دلالة واضحة على رسوخ مسألة العودة لاحتلال فلسطين في عقلية النخبة الحاكمة التي كانت قائمة على أسس دينية وعقائدية بالتزامن مع نكران مجرد رقصة طقسية للهنود الحمر ومعاقتهم عليها لأنها تدعو لذات الحق.

كما استشهد تقرير موقع عرب ٤٨ بما ذكره الرئيس الأمريكي توماس

وودرو ويلسون (Woodrow Wilson) (١٩١٣-١٩٢١) قبل أشهر من وعد بلفور في عام ١٩١٧، والذي أعلن من خلاله دعم بريطانيا لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين انطلاقاً من «حق كل شخص في اختيار السيادة التي يحيا في ظلّها»، بمنزلة الضوء الأخضر لقيام الدولة اليهودية، مؤكداً في خطابه أمام الكونغرس في فبراير ١٩١٨ أنه «يجب احترام التطلّعات الوطنية وأن يتمّ حكم الشعوب بموافقتهم (موقع عرب ٤٨، نوفمبر ٢٠١٦)».

ومن الغريب أن يأتي هذا التحول السياسي المؤدّج دينياً في الدعم المطلق للدولة اليهودية وتبرير كل مظاهر التنكيل والإبادة بحق الشعب الأصيل على أرضها ليصل إلى الحد الذي بلغه دونالد ترامب في الاعتراف رسمياً وعملياً بالقدس كعاصمة لإسرائيل ومنحها المزيد من الأراضي الفلسطينية المحتلة بعد التحذيرات المبكرة للرؤساء الأمريكيين الأوائل من مخاطر الهيمنة اليهودية على الحياة الأمريكية، وكان على رأس هؤلاء الرئيس جورج واشنطن (١٧٨٩-١٧٩٧) الذي قال عن اليهود في عام ١٧٨٨ (أبو علم، ٢٠١٤):

«إنّ اليهود يعملون ضدّنا بسلاح أمضى من سلاح جيوش الأعداء، إنهم أخطر من هذه الجيوش مئة مرّة على حريتنا، وعلى قضيتنا الكبرى التي ندافع عنها جميعاً، ومن المؤسف أن ولاياتنا لم تطردهم منذ زمن بعيد، كما تطرد أوبئة المجتمع الفتاكة، وذلك لأنهم ألدّ أعداء السعادة والحياة الذين عرفتهم أمريكا» (ص. ١١٧)

كما عبّر الزعيم الأمريكي بنيامين فرانكلين (Benjamin Franklin)، الذي يعد من أهم وأبرز مؤسسي الولايات المتحدة الأمريكية (١٧٠٦-١٧٩٠)، عن عدة مواقف متشددة تجاه اليهود وإن طالها التشكيك، إذ ينسب أنه خاطب مؤتمر إعلان الدستور الأمريكي في فيلادلفيا عام ١٧٨٩ قائلاً (موقع صحيفة البيان الإماراتية، نوفمبر ٢٥، ٢٠٠٠):

«هناك خطر عظيم يهدد الولايات المتحدة الأمريكية، ذلك هو الخطر اليهودي ... حيثما استقر اليهود نجدهم يوهنون من عزيمة الشعب، ويزعزعون الخلق التجاري الشريف، إنهم يكونون حكومة داخل الحكومة، وحينما يجدون معارضة من أحد، فإنهم يعملون على خنق الأمة ماليًا ... منذ ١٧٠٠ سنة وهم يندبون مصيرهم ... لا لشيء إلا لدعائهم أنهم طردوا من الوطن الأم (فلسطين) ... إذا لم يمنع اليهود من الهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية بموجب الدستور، ففي أقل من ١٠٠ سنة سوف يتدفقون على البلاد بأعداد ضخمة كالجراد تجعلهم يحكموننا ويدمروننا، وإذا لم يمنع اليهود من الهجرة فإنه لن تمضي أكثر من ٢٠٠ سنة ليصبح أبنائنا عمالاً في الحقول لتوفير الغذاء لليهود الذين سيجلسون في البيوت المالية مرفهين يفركون أيديهم في غبطة»

وقد أبدى بعض المسؤولين الأمريكيين المعاصرين امتعاضهم من وجود مؤامرات يهودية خطيرة على أمريكا، ومنهم رئيس الأركان السابق الجنرال جورج براون الذي اتهم اليهود وإسرائيل بممارسة النفوذ الضاغط في الولايات المتحدة بسبب سيطرتهم على مصادر الإعلام، كما قال السيناتور ميرفن دايمالي: «إنني لو كنت عضواً في الكنيسة لتوافرت لي حرية نقد إسرائيل أكثر مما تتوافر لي الآن كعضو في الكونجرس». وبدوره حذر وزير الخارجية الأسبق جيمس بيكر من انهيار عملية التسوية في الشرق الأوسط وفقدان الولايات المتحدة مصداقيتها نتيجة محاباة الإدارة المفرطة لإسرائيل على حساب المصالح الأمريكية وهيمنة حسابات الانتخابات الرئاسية على السياسة الخارجية (موقع صحيفة البيان الإماراتية، نوفمبر ٢٥، ٢٠٠٠).

كما برزت مؤخراً في عدد من مراكز الدراسات السياسية والإستراتيجية الأمريكية تساؤلات عديدة حول جدوى الشراكة الإستراتيجية بين الولايات المتحدة وإسرائيل وما المطلوب من الولايات المتحدة لضمان أمنها: هل إسرائيل في حدود التقسيم الدولي عام ١٩٤٩ أم إسرائيل بعد عدوانها عام ١٩٦٧ أم حدود إسرائيل الكبرى التي يطالب بها حزب الليكود من النيل إلى الفرات؟ وما المساعدة الإستراتيجية التي يمكن أن تقدمها إسرائيل للولايات المتحدة في المقابل إذا ما نشب صراع دولي في منطقة الشرق الأوسط بعد أن أثبتت حرب الخليج الثانية أن إسرائيل كانت عبئاً على الإستراتيجية الأمريكية وليست عوناً لها؟ إلى جانب التساؤلات عن سلبيات أخرى تعانيها الولايات المتحدة كعمليات التجسس التي تمارسها إسرائيل ضد الأمن الأمريكي، والتي انعكست في قضية سفير أمريكا في إسرائيل مارتن أنديك، والسفير الأمريكي في البحرين رونالد نيومان، ومن قبلهما رئيس المخابرات المركزية الأمريكية جون دويتش وجوناثان بولارد الضابط بالمخابرات البحرية الأمريكية، ناهيك عن الانتهاكات الإسرائيلية للقوانين الأمريكية ببيعها معدات وأسلحة أمريكية متطورة كنظام باتريوت الصّاروخي ونظام الإنذار المبكر الطائر (فالكون) للصين، وغير ذلك من المواقف التي تبقى في إطار محدود إعلامياً وسياسياً، ولا تتمكن من مجازاة الانحياز الواضح لكبريات مؤسسات القرار والنخب السياسية الأمريكية للجانب اليهودي بكل ما تحمله أيديولوجيته القائمة على العنصرية وممارساتها القمعية، والتي اختزل سرها حاخام ولاية نيويورك مردخاي واكسام قائلاً (موقع صحيفة البيان الإماراتية، نوفمبر ٢٥، ٢٠٠٠):

«ليست هناك مؤامرة بقدر ما هناك عمل جاد ودعم مالي جبار من كل يهود العالم للمرشح الأمريكي للرئاسة الذي يدعم قضايا اليهود، ويتبنى أفكارهم، حتى لو لم يكن شخصياً مقتنعاً بتلك القضايا والأفكار»

ولذلك، فإنَّ المقاربة المنظمة للتصفية الجسدية في الحالة الفلسطينية تكون جائزةً كما كانت مبررةً حالة القضاء على الهنود الحمر، ما دامت تقوم على تلك المزايم التي كوَّنت الثقافة السياسية والمنهج السلوكي لمعظم رؤساء الولايات المتحدة وصُنَّاع القرار في المؤسَّسات العليا منذ نشأة الدولة الأمريكية، وليس مستغرباً جداً الدعم الأمريكي الواسع للكيان الصَّهْيُوني في مشاريعه الاستيطانية وبكافة الوسائل المتاحة لكونها تمثل ببساطة تجربة زمانية جديدة في مكان آخر، فقد كانت عقيدة الإبادة والتصفية بحق المواطنين الفلسطينيين التي باركتها الحكومات الأمريكية المتعاقبة منذ بداياتها راسخةً في العقلية اليهودية قبل أن تتخذ المؤسسة الحاكمة في إسرائيل إجراءاتها على أرض الواقع بُعيدَ الهجرة الكبيرة التي حدثت بين عامي ١٩٤٧-١٩٤٨.

كما برزت خلال تاريخ الاستحواذ الصَّهْيُوني للأراضي الفلسطينية والعربية وتشريد شعوبها شخصيات لا يمكن تجاوزها كونها تجسّد تلك العقيدة الاستعلائية، حيث أدَّت تلك النخبة دوراً أيديولوجياً وعملياً في برمجة فلسفة الاستحواذ والاستيلاء، فإضافةً إلى بن غوريون وجولدا مائير وموشى ديان وإسحق شامير وشمعون بيريز وأرييل شارون وبنيامين نتنياهو، وُجِدَ خلف المسرح رموزٌ ربَّما لا يعرفها العامَّةُ من الناس ممَّن كان لهم دورٌ كبير في هذا التاريخ الأسود.

ومن بين هؤلاء يوسف وتيز (Yosef Weitz) الذي وفد إلى أرض فلسطين سنة ١٩٠٨ مهاجراً إليها من روسيا وعمل فيما يسمى بالصندوق القومي اليهودي الذي أسسته المنظمة الصَّهْيُونيَّة العالمية في عام ١٩١٨، حيث قام أيضاً بتنفيذ متبنيَّاته العقائدية للاستحواذ على أراضي الفلسطينيين تزامناً مع تصريحاته المعلنة والمتكررة حول خطته المستقبلية في هذا الشأن، ومن أخطرها حق الاستحواذ لأراضي الفلسطينيين، إذ قال ذات مرَّة: «يجب أن يكون

واضحاً لنا أنه لا يوجد في فلسطين مكانٌ لهذين الشَّعبين» (فيشباخ، ٢٠١٣، ص. ٢٠). وأضاف في مكان آخر: «إنَّ الكفاح من أجل الأرض ... يعني ببساطة ما يلي: تحرير الأرض من أيدي الغرباء ومن براثن الإهمال، وهو كفاح من أجل إعمارها بالمستوطنات» (فيشباخ، ٢٠١٣، ص. ٩٤)، وليس غريباً أن يتشابه هذا الصندوق بنظيره الذي أسسته الحكومة الأمريكية في عام ١٨١٨ باسم صندوق التمدين كما تمت الإشارة إليه سابقاً.

لقد كان وتيز يمازج بين الواقعية السياسية التي تعني فرض الواقع لدى السياسيين الإسرائيليين مع القواعد والمباني العقائدية لإضفاء الصفة الدينية والشرعية عليها، فعلى سبيل المثال عندما صرح وزير خارجية الحكومة الإسرائيلية المؤقتة موشيه شرتوك في عام ١٩٤٨ عن الفرصة التاريخية لتشريد الفلسطينيين قائلًا: «لن تتكرر الفرص التي يتيحها الوضع الحالي (فرار اللاجئين) للوصول إلى حل دائم وجذري لأصعب مشكلة في الدولة اليهودية، وهي فرصة تحبس الأنفاس»، أجابه وتيز من على الضفة الأخرى بالقول (فيشباخ، ٢٠١٣):

«في البداية علينا أن نعترف بأن فرار العرب كان خطوة إيجابية، إنه معجزة تساوي في عظمتها الخروج من مصر، لا أستطيع أن أتخيل كيف كنا سنتمكّن من بناء الدولة وتوفير الاستقرار فيها لو بقي العرب ... لقد جاء فرارهم هديةً من السماء، وعلينا ألا نقلل من قيمته» (ص. ٢١).

كما انتهى وتيز في مذكراته حول ما سماه بفرار اللاجئين الفلسطينيين إلى أنّه «يمثّل ثورة كاملة، وأنّ الدولة عازمة على مصادرة أراضيهم، وأنه سيعمل على تحقيق ذلك عندما يكون القتال دائراً» (فيشباخ، ٢٠١٣، ص. ٢٠)، ولا شك في أن أحلامه قد تحققت حتى لو عارضت الحكومة الإسرائيلية توجّهاته المتعصّبة تكتيكياً.

ففي عام ١٩٤٨ وخلال ذروة التهجير القسري، اقترح ويتز ما سماه بـ(لجنة الترحيل) التي تمنع إسرائيل بمقتضاها الفلسطينيين من حق العودة لأراضيهم التي فرّوا منها، ولكنه لم يحصل على الموافقة الرسمية رغم قبول بن غوريون الشخصي للفكرة. وعلى الرغم من أن الأخير لم يتحمس لتوجهات ويتز التعصبية لتدمير المزيد من القرى، فإن ويتز أسّس تلك اللجنة بمعية عدد من المساعدين الخبراء بالأراضي العربية، فشرع في تدمير ثمانى قرى فلسطينية من خلال لجنته الخاصة، في إجراء مشابه لرحلة الدموع السالف ذكرها التي قام بها الأمريكيون لتهجير المواطنين الأصليين قسراً، وشملت قرى المغار، فجة، بيار عدس، بيت دجن، مسكة، السميرية، صبارين، والبطينات (فیشباخ، ٢٠١٣، ص. ٢٦-٢٨).

أما على صعيد المسوّغات القانونية، فقد توالى عمليّات الاستيلاء والاستحواذ والضمّ بشكل حثيث وعلى عدّة مراحل بغطاء من منظومة قانونية مشابه لنظريتها الأمريكية السالف ذكرها، كما هو مبين في الجدول (٧)، كما شرّعت السلطة الإسرائيلية مجموعة كبيرة ومعقدة ومتداخلة من القوانين التي ساهمت في محصلّاتها النهائيّة في انتزاع الأراضي الفلسطينية.

وقد بدأت الحكومة الإسرائيلية في مستهل عهدها بتبني مجموعة من القوانين التي أقرتها قوى الانتداب البريطانية كمرحلة انتقالية كونها تمثل قاعدة التجريد من الحقوق الفلسطينية وفقاً لوعدها بلفور (شاهين، ٢٠١٦)، وشملت تلك التشريعات قانون أراضي الموات لسنة ١٩٢١، قانون الغابات لسنة ١٩٢٦، قانون تسوية الأراضي لسنة ١٩٢٨، قانون الأراضي - الاستملاك للمنفعة العامة لسنة ١٩٤٣، وقانون أنظمة الطوارئ لسنة ١٩٤٥، كما قامت حكومة الاحتلال بإضافة تشريعات جديدة وتعديل ما سبقها بما يتلاءم مع المرحلة الجديدة، خاصة في فترة تأسيس الدولة ما بين عامي ١٩٤٨-١٩٥١،

ومن أهم القوانين التي تم إقرارها من أجل استكمال الاستيلاء على أراضي المواطنين الأصليين قانون الأملاك المتروكة لعام ١٩٤٨، قانون المناطق المتروكة لعام ١٩٤٨، قانون أنظمة الطوارئ لعام ١٩٤٨، قانون أنظمة الطوارئ (أو قانون أملاك الغائبين) لعام ١٩٤٨، قانون أنظمة الطوارئ (زراعة الأراضي البور) لعام ١٩٤٩، قانون أموال الغائبين لعام ١٩٥٠، وقانون سلطة التعمير والإنشاء لعام ١٩٥٠.

وبطبيعة الحال استمرت الدولة اليهودية في سن حزمة تشريعات إضافية بعد احتلالها للقدس عام ١٩٦٧ كمدخل قانوني لضمها بشكل كلي (عنا، ٢٠٠١، ص. ٦٩-٨٠)، ومن أمثلة ذلك قانون ضم القدس إدارياً وقضائياً لسنة ١٩٦٧، قانون التنظيمات القضائية والإدارية لسنة ١٩٦٧، قانون الإشراف على التعليم لسنة ١٩٦٧، قانون أملاك الغائبين لسنة ١٩٦٧، قانون أراضي الدولة المسجلة لعام ١٩٦٧، قانون استرجاع اليهود لعقاراتهم لسنة ١٩٦٨، قانون أملاك الغائبين (التعويضات) لسنة ١٩٧٣، قانون ضم مدينة القدس لسنة ١٩٨٠.

جاءت هذه السلسلة من القوانين وغيرها في سياق متصل لعمليات الاستيلاء المبرمجة، فمجموعة تشريعات الانتداب مثلت قاعدة تمهيدية لبرنامج الاستيلاء، ولكن وفقاً لظروف الوضع السياسي العام السائد في المنطقة خلال فترة الحربين العالميتين الأولى والثانية، حيث كانت الهجرة اليهودية خلال تلك المرحلة في بدايتها، ولم يكن هؤلاء المهاجرون يشكلون رقماً سكانياً من شأنه أن يكون كياناً قادراً على شن الحروب.

ولما كان الوضع الدولي مستعراً، خاصة بين الدولة العثمانية وحليفها الألماني من جهة والإمبراطورية البريطانية من جهة أخرى، كان لزاماً على الأخيرة التخلص من العثمانيين أولاً مما دفع بريطانيا إلى عقد التحالفات

مع بعض الزعامات العربية كالشريف حسين في مكة وبقية الزعامات التي تحالفت مع بريطانيا حينها، ولم يكن التصريح متاحاً بمكنون الخطة الاستعمارية لزرع الكيان الصهيوني، فاكثفت تلك القوانين بتحديد الإحداثيات لواقع جديد يتم التخطيط له؛ الأمر الذي دخل حيّز التنفيذ بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة.

جدول (٧) التشريعات الإسرائيلية لتمكين الاستيلاء على الأراضي الخاضعة للمواطنين الفلسطينيين والاستحواذ على ثرواتها وإلغاء هويتها (١٩٢١-٢٠١٧)

التشريعات	السنوات	الأهداف
قانون (أراضي الموات)	١٩٢١	التمهيد لتجريد الحقوق الفلسطينية وفقاً لوعد بلفور.
قانون (الغابات)	١٩٢٦	التمهيد لتجريد الحقوق الفلسطينية وفقاً لوعد بلفور.
قانون (تسوية الأراضي)	١٩٢٨	التمهيد لتجريد الحقوق الفلسطينية وفقاً لوعد بلفور.
قانون (الأراضي - الاستملاك للمنفعة العامة)	١٩٤٣	التمهيد لتجريد الحقوق الفلسطينية وفقاً لوعد بلفور.
قانون (أنظمة الطوارئ)	١٩٤٥	التمهيد لتجريد الحقوق الفلسطينية وفقاً لوعد بلفور.
قانون (الأموال المتروكة)	١٩٤٨	الاستيلاء على أراضي المواطنين الأصليين.
قانون (المناطق المتروكة)	١٩٤٨	الاستيلاء على أراضي المواطنين الأصليين.
قانون (أنظمة الطوارئ)	١٩٤٨	الاستيلاء على أراضي المواطنين الأصليين.
قانون (أموال الغائبين)	١٩٤٨	الاستيلاء على أراضي المواطنين الأصليين.
قانون (أنظمة الطوارئ لزراعة الأراضي البور)	١٩٤٩	الاستيلاء على أراضي المواطنين الأصليين.
قانون (أموال الغائبين)	١٩٥٠	الاستيلاء على أراضي المواطنين الأصليين.
قانون (سلطة التعمير والإنشاء)	١٩٥٠	الاستيلاء على أراضي المواطنين الأصليين.
قانون (ضمّ القدس إدارياً وقضائياً)	١٩٦٧	مدخل قانوني لضمّ القدس بشكل كلي.
قانون (التنظيمات القضائية والإدارية)	١٩٦٧	مدخل قانوني لضم القدس بشكل كلي.

التشريعات	السنوات	الأهداف
قانون (الإشراف على التعليم)	١٩٦٧	مدخل قانوني لضم القدس بشكل كلي.
قانون (أمالك الغائبين)	١٩٦٧	مدخل قانوني لضم القدس بشكل كلي.
قانون (استرجاع اليهود لعقاراتهم)	١٩٦٨	مدخل قانوني لضم القدس بشكل كلي.
قانون (أراضي الدولة المسجلة)	١٩٧١	مدخل قانوني لضم القدس بشكل كلي.
قانون (أمالك الغائبين أو التعويضات)	١٩٧٣	مدخل قانوني لضم القدس بشكل كلي.
قانون (ضمّ مدينة القدس)	١٩٨٠	مدخل قانوني لضم القدس بشكل كلي.
قانون (المناطق المحتلة أو المناطق المتروكة)	١٩٤٨	حسم متطلبات الاستحواذ تحت مظلة القانون عملياً.
قانون (الطوارئ)	١٩٤٨	منح وزير الزراعة صلاحية الاستيلاء على أي أرض يعتبرها لم تزرع.
قانون (أموال الغائبين)	١٩٤٨	حق الدولة في مصادرة الأرض المتروكة بسبب غياب صاحبها.
قانون (استملاك الأراضي عبر التعويض)	١٩٥٣	منح السلطات الحق في استدخال الأراضي وفق ما تعتبره ضرورة لأغراض التنمية والتوطين والأمن.
قانون (التنظيم)	٢٠١٧	شرعنة جميع الاستيلاءات التي قام بها الإسرائيليون في الأراضي الفلسطينية منذ عام ١٩٤٩.

• المصدر: من إعداد المؤلفين.

مكّنت حزمة القوانين تلك الحكومة الإسرائيلية من السيطرة على معظم الفلسطينية وتأجير بعضها أو بيعها للصندوق القومي اليهودي الذي يترأسه يوسف ويتزالمشار إليه آنفاً (فیشباخ، ص. ٣٤-٤٣). وبذلك ينعقد وجه التشابه مجدداً في استخدام حراب القوانين في الاستيلاء على أراضي الغير بين الحالتين الأمريكية والصهيونية ضد الهنود الحمر والفلسطينيين، ففي كلتا الحالتين كان اللجوء إلى تلك التشريعات الصادرة بمهر البرلمانات المنتخبة عنصرياً كواجهة لوجه الاستيلاء والاحتصاف والسلب القبيح الذي تجلّى بوضوح في التجربتين، وقد استخدمت الديمقراطية كمسحوق تجميلي لإخفاء بثور الشر المزروعة في

أعماق العقلية المتعصبة والاستعلائية تحت غطاء الدولة المدنية والعلمانية من أجل تحمل المسؤولية التاريخية لتطويع الأمم انطلاقاً من قصيدة عبء الرجل الأبيض (The White Man Burden).

كما توالى إقرار المزيد من القوانين الإسرائيلية وبشكل متسارع منذ عام ٢٠١٨ دون أي اعتبار للقرارات الصادرة من الأمم المتحدة وفي إطار القانون الدولي الجنائي والإنساني، فوفقاً لتقرير منظمة حقوق الإنسان لعام ٢٠١٨، تحت بند أحداث فلسطين وإسرائيل، تم هدم أكثر من ٣٨١ منزلاً لمواطنين فلسطينيين وتشريد ٥٨٨ منهم من أجل أن يقيم محلهم مُستعمرون جدد، وأضاف التقرير أن الفترة من الأول من يناير حتى السادس من نوفمبر من عام ٢٠١٧ شهدت مقتل ٦٢ فلسطينياً على يد قوات الأمن الإسرائيلية، بينهم ١٤ طفلاً، وأصاب ٣,٤٩٤ آخرين على الأقل في الضفة الغربية وقطاع غزة، كما سجنّت السلطات الإسرائيلية ٦,١٥٤ نزيلاً على أساس أمني (منظمة حقوق الإنسان، التقرير العالمي ٢٠١٨).

ومن ناحية أخرى، أفاد تقرير للأمم المتحدة لعام ٢٠١٥ أن المعلومات التي سجلتها وقدمتها مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان قد أظهرت مقتل ٢,٢٥٦ فلسطينياً بينهم ١,٥٦٣ من المدنيين بمن فيهم ٥٣٨ طفلاً (ويبيسونو، تقرير الأمم المتحدة، ٢٠١٥، ص. ٤). وخلص التقرير إلى تشريد أكثر من نصف مليون نسمة من الفلسطينيين وعدم وصول الخدمات الصحية والمياه لأكثر من ٤٥٠ ألفاً منهم في وصف مأساويٍّ للعمليات التي تقوم بها القوات الإسرائيلية بحجة البحث عن (إرهابيين).

وفي تقرير مماثل للأمم المتحدة حول تبعات الجدار الفاصل الذي بنته إسرائيل على طول حدودها مع الأراضي الفلسطينية؛ انتهى بالقول: إن ٨٥٪ من هذا الحائط يقع في الضفة الغربية من الجانب الفلسطيني، علاوة على أنه سيعزل

نحو ٩,٥٪ من أراضيه، ويشير التقرير كذلك إلى خطورة ومأساوية الوضع الذي يتوالى على الفلسطينيين سنة بعد أخرى حيث «يتزايد تفتيت الضفة الغربية بما في ذلك القدس الشرقية بواسطة توليفة من السياسات والممارسات تشمل على سبيل الذكر وليس الحصر: الجدار، وإنشاء مناطق التماس، ونقاط تفتيش، وتقييد تقسيم الأراضي والتخطيط، وهدم المنازل والإجلاء القسري (لا سيما في حالة جماعات البدو الموجودة في المنطقة جيم)، وسحب حقوق الإقامة، وتحويل مساحات شاسعة من الضفة الغربية إلى مناطق عسكريّة مغلقة أو محميّات طبيعيّة، وانتزاع الأراضي من أصحابها لتحويلها إلى أراضٍ زراعيّة تابعة للمستوطنين أو مناطق صناعيّة» (فولك، تقرير الأمم المتّحدة حول حالة حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينيّة، ٢٠١٤، ص. ١١).

وفي السنة نفسها شرّع الكنيست الإسرائيليّ قانوناً جديداً تحت مسمى (قانون التنظيم)، وهو تشريع مشابه لقانون إعادة التنظيم الذي أقره الكونغرس الأمريكي ضد الهنود الحمر، تم بموجبه شرعنة جميع الاستيلاءات التي قام بها الإسرائيليون في الأراضي الفلسطينيّة دون مراعاة لحكم المحكمة الإسرائيليّة العليا التي قضت بعدم شرعية ذلك القانون؛ ففيما بين عامي ٢٠١٧-٢٠١٨ فقط استولت إسرائيل على أراضٍ فلسطينيّة شاسعة في القدس وبنّت عليها ٢٠٠٠ وحدة سكنية بصورة غير مشروعة، إلى جانب توفير خدمات الأمن والتعليم والإسكان لنحو ٦٠٧ آلاف مستوطن يقيمون على أراضٍ فلسطينيّة مختلفة أخرى (منظمة حقوق الإنسان، التقرير العالمي ٢٠١٨).

٣- التصفية عبر مسوغات عقيدة التمييز العرقي (شعب الله المختار):

لم يعد بالإمكان استخدام المنهج العلمي والأنثروبولوجي التقليدي القديم في تبرير سحق الغير وسلب حقوقه الإنسانية كما كان في الحالة الأمريكية ضد الهنود الحمر وذلك لسببين: يتمثل أولهما في تطور العلوم الجينية والطبية التي

تنسف حجة تفوق جنس على الآخر من حيث الطبيعة البشرية الأساسية، ثانيًا بفضل تنامي النظام القانوني والحقوقى الإنساني العالمي خاصة بعد الحرب العالمية الثانية، حيث أصبح قبول مثل تلك المبررات صعبًا إن لم يكن مستحيلًا ولا سيما على خلفية التجربة النازية مع اليهود وغيرهم من الأجناس البشرية. وعلاوة على ما سبق؛ فإن مسار الحقوق المدنية في الولايات المتحدة الأمريكية وموجة التحرر العالمي لشعوب العالم التي اجتاحت مجتمعات العالم الثالث صعبت البواح بالتفوق العرقي لأي من يكون، ورغم ذلك لا تزال الآلة الصهيينة تروج لفكرة التفوق من خلال عقيدة (شعب الله المختار)، ومع تباين التفسيرات الدينية اليهودية إزاء هذه المقولة بين متعصب لها وآخر منفتح؛ فإن الجميع لا ينكرها كحقيقة دينية في إطار الديانة اليهودية السائدة اليوم.

لقد مثلت هذه المقولة منصّة انطلاق أيديولوجية وفكرية للكثير من الصهاينة الذين أتوا إلى فلسطين مهاجرين بقصد احتلالها، كما أنها شكّلت إطارًا جامعا لحق العودة وسلب الآخر وتبرير الاستيطان وعملت في الوقت نفسه كمحرك عاطفي للكثير من يهود العالم الذين يدينون بالولاء أو حتى إيلاء العاطفة للكيان الصهيوني، وقد تم تثبيت تلك المقولة التمييزية فعليًا في أغلبية العقل الصهيوني، ففي استطلاع حديث أجرته صحيفة هاريتز (Haaretz) الإسرائيلية في ٦ يناير ٢٠١٩، أكّد ٥٦٪ من المستطلّعين اليهود في الكيان الصّهيوني أنّهم يعتقدون بأنّهم شعب الله المختار، بينما رفضها ٣٢٪، ولم يجب عن ذلك ١٢٪ من المشاركين، كما تبين وفقًا للصحيفة أنّ ٧٩٪ من الذين أيّدوا تلك المقولة مصنّفون على أنّهم من اليمين المتطرّف (Levy, 2019).

كما بلغت عقلية التعصّب أذهان بعض المشتغلين في علوم الطبّ والوراثة والجينات فسّعوا لإثبات مقولة التميّز العرقي بطريقة علمية مبتكرة؛ فأصدر هاري أوستر (Harry Ostrer)، أستاذ علم الوراثة في كلية ألبرت أينشتاين

الطبية بجامعة نيويورك، كتاباً بعنوان: (الوراثة: تاريخ جيني للشعب اليهودي)؛ لإثبات أن اليهود مختلفون عرقياً ولهم سماتٌ جينيةٌ متشابهةٌ مما يميّزهم (جينياً) عن الغير (Entine, 2012)، وادّعى أوستر أن اليهود الأشكناز الذين فحص جيناتهم ينسبون إلى يهودا في فلسطين؛ أي: (أرض الميعاد)، مضيفاً أن اليهود يُعدّون من أذكى العالم المميزين إذ يفوق معدّل ذكائهم الآخرين بدرجات كبيرة وفّق اختبار حاصل الذكاء (Intelligence Quotient) (IQ). كما أشار إلى أن اليهود الذين يشكلون ٣٪ فقط من الشعب الأمريكي بحسب اعتقاده حقّقوا أكثر من ٢٥٪ من جوائز نوبل التي فاز بها العلماء في الولايات المتحدة منذ عام ١٩٥٠، إلى جانب شغلهم ٢٠٪ من مجموع المديرين التنفيذيين بالبلاد وما نسبته ٢٢٪ من إجمالي طلاب الجامعات الأمريكية المتميّزة (Ivy Universities) (Entine, 2012).

إنّ مثل هذه الادّعاءات اليهودية، باسم الدين تارة وباسم العلم تارة أخرى، والمسندة باستطلاعات الرأي العام - تؤكّد الاتجاه العام لتبني أو تبرير إرادة التصفية، بيد أنها مشكوك في مصداقيتها العلمية. فعلى سبيل المثال فنّد المؤرّخ جمال حمدان (١٩٦٧) صلة اليهود بالشرق الأوسط مستبعداً أنّهم يمثلون قوميةً، وتوصّل إلى أنّ ٩٥٪ من اليهود الأشكناز المعاصرين ليسوا من أحفاد من خرجوا من فلسطين بل ينتمون إلى إمبراطورية الخزر التّترية الواقعة بين البحر الأسود وبحر قزوين. وأكّد الباحث في علم الجينات إيران إيلهاك (Eran Elhaik)، وهو أيضاً مواطن أمريكي يهودي، في دراسة نشرتها مجلة بيولوجيا الجينوم والتّطور الإلكترونيّة العلمية (Genome Biology and Evolution)، ردّاً على ادّعاءات هاري أوستر حول انتماء يهود الأشكناز للمنطقة وقد اعتنقوا الديانة اليهودية مؤخّراً في القرن الثامن الميلاديّ، وهاجروا إلى أوربّا الشرقية في القرنين الثّاني عشر والثّالث عشر (Rubin, 2013). كما أضاف ريتا روبن (Rita Rubin) أنّ

نظرية أوستر تمنح سلطة العلم للرواية الصَّهْيُونِيَّة بانتماء أصل اليهود لفلسطين فقط كمسوغ لحق العودة واستعادة الاستملاك، ومن ثمَّ تبرير كلِّ إجراءات الاحتلال من خلال التَّحَكُّم في الأرض (Rubin, 2013).

بدورها، أعدت نادية أبو الحاج (Nadia Abu El-Haj) دراسة ثرية جمعت في طياتها مجموعة كبيرة من الأدبيات التي تتناول ما أطلق عليه بتاريخ الجينات، ونجحت في ربط الأفكار القديمة بالحديثة، حيث ناقشت خلالها العديد من النظريات والتَّصوُّرات بما في ذلك الدراسات التي أُجريت حول العرق اليهودي والمحاولات الكثيرة التي تمت في هذا الاتجاه لإثبات خصوصية الجنس اليهودي في مقابل الآراء المعارضة لهذا الاتجاه، وانتهت في إحدى نتائج دراستها إلى وضوح العلاقة العضوية بين دراسة تاريخ الجينات وقوة المعرفة والسياسة (Abu El-Haj, 2012, p. 34).

بعيداً عن السجال العلمي، وبغض النظر عما إذا كان اليهود يعودون إلى جنس أو عرق واحد، فإنَّ السؤال الأهمَّ يجب أن يوجه حول علاقة ذلك بالتميز العرقي أو ارتباطه بحق العودة وسحق الآخر واحتلال أرضه؛ الأمر الذي لم يجب علماء الجينات عنه، ولربَّما لا يهتمُّ ذلك أكثر من محاولة تقديم الإسناد إلى مفهوم أرض الميعاد التي احتلوها وشردوا أهاليها، فلم يوضح هاري أوستر مثلاً العلاقة بين التميز والذكاء وانتشار اليهود في المراكز والشركات والجامعات الأمريكية الرائدة وحق العودة، وهل تلك المراكز لها علاقة بطبيعة العرق أم أن العوامل والظروف البيئية هي التي أثَّرت في ذلك التقدُّم على افتراض صحَّة البيانات التي قدمها.

فمن المعروف أن اليهود في الولايات المتحدة بل أغلب دول العالم يعملون في المجالات الاقتصادية التي منحتهم مراكز متقدمة في السياسة والإعلام

بسبب امتلاكهم لتلك المؤسسات، ومن دواعي المنطق أيضاً أن تحرص الأقليات في المجتمعات ذات النزعة الفئوية أو العرقية دائماً على تحقيق التميز لأنه السبيل الوحيد للتنافس مع الأغلبية التي تتمسك بمفاصل الدولة، فقد عانى اليهود في فترات تاريخية كثيرة خاصة في القرون الوسطى في أوربا الاضطهاد والاستهداف العرقي؛ ممّا جعلهم يطرقون أبواب التميز الذي حقق لهم موروثاً كبيراً في الجامعات؛ ومن ثمّ العمل في القطاعات الاقتصادية والمصرفية، خاصة في مجال الذهب والمجوهرات، وأخيراً التركيز على التخصصات المهنية الفريدة كالمطبّ والمحاماة ذات المردود المادّي الكبير وحاجة عوامّ الناس الملحة إليها؛ ممّا منحهم قوّة مضافة على بقية فئات المجتمع.

وبعيداً عن طبيعة الجدل حول مسألة التميز السياسي والاقتصادي والإعلامي لليهود في الكثير من الدول، فذلك لا يجعل منهم عرقاً متميّزاً باختيار من الرّب لكي يمتلكوا إجازة حقّ سلب الآخر أرضه وأملاكه، وعلى افتراض أن اليهود أصلهم من فلسطين وتمّ تشريدهم من قبل المسلمين وغيرهم من أراضيهم كتبرير لمسألة عودتهم، فالسؤال المستحق في هذا المقام هل ينطبق هذا التبرير على الهنود الحمر أيضاً وهم دون أي شك من كانوا يسكنون الأراضي التي تعرف اليوم بالولايات المتحدة الأمريكية؟ بطبيعة الحال، لن يتم الحصول على جواب لمثل هذا السؤال إطلاقاً، والسبب لا يمكن أن تخرج الإجابة من عقلية التفوق للرجل الأبيض دون غيره من البشر، فهو الذي تقع على عاتقه مسؤولية تحضير وتمدين الآخرين حتى لو استدعى الأمر سلب أملاكهم وقتلهم وتشريدهم ومسح ثقافتهم.

رابعاً: مقاربات زمانية ومكانية (عبر تاريخية وجغرافية)

ومستوى التحليل الثقافي للعلاقات الدولية

في الاستعراض السابق تمت مناقشة ومقارنة تجربتين في مكانين وزمانين مختلفين تمثلتا في تجربة الهنود الحمر مع المستوطنين الأوروبيين فيما يعرف اليوم بالولايات المتحدة الأمريكية وتجربة الفلسطينيين والمهاجرين اليهود فيما يعرف بالأراضي الفلسطينية، حيث امتدت التجربة الأولى من بداية اكتشاف الرجل الأبيض الأوروبي للعالم الجديد بوصول كرستوفر كولومبس إلى جزر الأنтил في ١٠ أكتوبر ١٤٩٨ حتى نهاية آخر المواجهات الرسمية بين الهنود الحمر وحكومة الولايات المتحدة الأمريكية في ٢٠ مارس ١٩٢٣ التي عرفت باسم أحد زعماء الهنود الحمر حيث أطلق عليها (Posey War)، في حين تجسدت التجربة الثانية في هجرة اليهود من الشتات وخاصة أوربا إلى فلسطين التي بدأت منذ مطلع القرن العشرين وما زالت مستمرة إلى الوقت الراهن، حيث يبقى مسرح الصراع مفتوحاً على الرغم من تعدد فصول مشاهده الطويلة التي تشارف على قرابة قرن من الزمان، ويستعرض الجدول (٨) أوجه التشابه والاختلاف بين الثابت والمتغير في الأبعاد الفكرية والسياسية والإجراءات العملية للاستيطان والاستحواذ والإبادة الجماعية في تجربتي الشعب الفلسطيني وقبائل الهنود الحمر، ليكون أساساً لمناقشة المقاربات الزمانية والمكانية ومستوى التحليل الثقافي لكل منهما في هذا الجزء من الدراسة.

في كلتا التجربتين وبتطابق لافت، انفرد الجانب المسيطر بتطويع ثلاث أدوات رئيسة في الصراع تمثلت في الآتي:

١- التفسيرات الدينية والأيدولوجية الأحادية المدفوعة سياسياً.

٢- المسوغات القانونية المبرمجة التي تمايلت على مسرح الأحداث لكي تمثل دور دولة المؤسّسات المدنيّة الحديثة والديمقراطيّة.

٣- التعليل العلمي لحق السيطرة وتبرير الواقع غير المقبول لسلوكيات المسيطر إسناداً لغايات الاستحواذ عبر قوة محايدة أو موضوعية، ومثال ذلك التفسيرات الأنثروبولوجية والطبية التي استفردت بها مؤسسات وشخصيات في كل من الولايات المتحدة والكيان الصّهيونيّ من أجل إثبات الخصوصية العرقية أو الدينية للمسيطر.

والسؤال الذي يطرح نفسه: هل كانت تلك المتشابهات على الرغم من اختلاف الزمان والمكان وليدة المصادفة؟ بطبيعة الحال يستطيع أن يذهب أحدهم إلى تلك الفرضية لإثبات المصادفة، لكنّها لن تصمد أمام التّطابق الفوقّي الذي لحم التجربتين في تحالف إستراتيجيّ عبر الواقع منذ قرابة سبعين سنة، فالتحالف الصّهيويّ-أمريكيّ الذي فرض نفسه منذ تأسيس دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ بشكل رسمي، والتآلف غير الرسمي مع المئات من المؤسّسات الدينية والاستشراقية والسياسية منذ بداية الحركة الصّهيونيّة، كلّها تشير إلى أن التجربتين متّصلتان عضويّاً و(جينياً) في مكنون جسد سياسيّ واحد، ويمكن تفسير هذا الاتّحاد العضوي في إطار مستوى التحليل الثقافي الذي طالما ابتعد عنه المتخصّصون في العلاقات الدّولية.

جدول (٨) الثوابت والمتغير في الأبعاد الفكرية والسياسية والإجراءات
العملية للاستيطان والاستحواذ والإبادة الجماعية في تجربتي الشعب
الفلسطيني وقبائل الهنود الحمر

المتغيرات		الثوابت
الحالة الفلسطينية	حالة الهنود الحمر	
١- البعد الزمني للتجربة	القرن الـ ١٥.	القرن الـ ٢٠.
٢- البعد المكاني للتجربة	أمريكا الشمالية.	الشرق الأوسط (آسيا).
٣- الهجرة		
(أ) قرار الهجرة	قرار ذاتي (اكتشاف العالم الجديد).	قرار دولي (بريطاني فرنسي).
(ب) دواعي الهجرة والاستيطان	التفسير اللاهوتي في الديانة المسيحية. التفوق العنصري لبناء أرض السعادة.	التفسير اللاهوتي في الديانة اليهودية. الوعد الإلهي بالعودة إلى الأرض المقدسة.
(ج) نوعية الهجرة	تدفقات بشرية كبيرة متواصلة. أوربية غربية المنشأ. عرقية الأنجلوسكسون المسيحيين.	أعداد صغيرة متواصلة. أوربية شرقية وآسيوية المنشأ. عرقيات مختلفة من اليهود.
(د) استقبال المهاجرين	استقبال إيجابي وترحيب في البداية من قبل السكان الأصليين.	الرفض المسبق والمواجهة من قبل السكان الأصليين.
٤- الإبادة والتصفية والتهمجية		
(أ) فلسفة الإبادة والتصفية	مسوغات قانونية في إطار عرقي.	مسوغات دينية في إطار عنصري.
(ب) منهجية الإبادة	التغيير الديمغرافي المنظم. حروب التصفية الجسدية الأحادية. التهمجية القسري داخل حدود الدولة. طمس الهوية الحضارية التاريخية. الدمج القسري في هوية المواطنة.	التغيير الديمغرافي المنظم. حروب التصفية الجسدية المشتركة. التهمجية القسري خارج حدود الدولة. العزل العنصري للسكان الأصليين. تهويد الآثار والمقدسات.
(ج) إعلان الدولة	إعلان قيام دولة الولايات المتحدة عام ١٧٧٦ إثر إنهاء الحرب الأهلية والثورة على الاستعمار البريطاني. انعدام تأثير الهنود الحمر كأقلية تمثل ١٪ من السكان.	إعلان قيام دولة إسرائيل عام ١٩٤٨ من طرف واحد إثر التمرد على الانتداب البريطاني. الأقلية اليهودية بنسبة ٣٢٪ من السكان تعلن السيطرة على الحكم.
(د) التجنيس	التجنيس الكلي (المواطنة الأمريكية).	التجنيس الجزئي المحدود (عرب إسرائيل).
(هـ) الحكم الذاتي	منع محاولات قيام الحكم الذاتي.	فرض الحكم الذاتي المحدود (فك الارتباط) تحت الحصار (غزة).

المتغيرات		الثوابت
الحالة الفلسطينية	حالة الهنود الحمر	
٥. الاستيطان والاستيلاء		
- قوانين الاستحواذ على أراضي الفلسطينيين. - قوانين تمكين المستوطنين تحت مبررات إرجاع الحقوق التاريخية. - قوانين استدخال المناطق من منطقتات دينية مقدسة.	- قوانين الاستحواذ على أراضي السكان الأصليين. - قوانين مصادرة أراضي القبائل الأصلية. - قوانين استدخال مناطق القبائل الأصلية بغرض التطوير والتنمية.	(أ) المسوغات القانونية
- مبررات علمية دينية بالمحافظة على نقاء اليهود عبر الفصل العنصري للعرب والمسلمين.	- مبررات أيكولوجية بتخلف الشعوب الهندية وضرورة صهرها في الحضارة الغربية.	(ب) المسوغات العلمية

● المصدر: إعداد المؤلفين.

لقد نال العرب، والفلسطينيون تحديداً، تصفية حقيقية تزيد بكثير عما شهده اليهود إبان النازية في ألمانيا، ولكن وفقاً للقاموس الصهيوي-أمريكي فقد تم رفض تصنيف القتل الجماعي لغير اليهود بالإبادة، فالإبادة الجماعية (Genocide) اقتصر فقط على اليهود دون الهنود الحمر أو الفلسطينيين أو حتى غيرهم للحيلولة دون إعطاء الشرعية للسكان الأصليين نفس المطالبات والمكانة التي أعطيت لليهود، ومن ذلك الأرض الموعودة في فلسطين.

وتسري تطبيقات هذه السياسة بوضوح حتى تجاه الإبادات الجماعية الأخرى التي ارتكبها النازيون إبان الحرب العالمية الثانية، حيث يسرد وارد شرشيل وجيم وول (Ward Churchill & Jim Wall) في كتابهما: «مسألة صغيرة من الإبادة الجماعية» (A Little Matter of Genocide) كيف تم نكران إطلاق مفردة إبادة على أية فئة دون اليهود، كالتصفية الشاملة التي قام بها النازيون ضد الغجر (Gypsies) وراح ضحيتها أكثر من مليون نسمة، والإبادة الجماعية بحق السلافيين (Slavs) التي قضى فيها ما بين ١٥,٥ إلى ١٩,٥ مليون إنسان، متجاوزين في ذلك بأضعاف مضاعفة أعلى التقديرات الرقمية المزعومة للستة

ملايين يهودي ممن أبيدوا على يد هتلر (Churchill, 1997, 49). ولا شك أن الإبادة الجماعية التي تلاحق الفلسطينيين منذ عام ١٩٤٨ تحصل على ذات التغطية التي وقعت للشعوب الأخرى بما في ذلك ما حصل للمواطنين الأصليين في أمريكا الشمالية.

يتبين من هذه المقاربة نوعية التصفية وتطبيقات الإبادة وطرائق الاستيلاء المتشابهة في مختلف الجوانب الأيديولوجية والقانونية على النحو الذي سيتم شرحه بمزيد من التفصيل لاحقاً، لكن المفارقة الوحيدة تتجسد في عدم التصريح العلني بتفوق الجنس اليهودي على الجنس العربي إلا في حدود النقاء العرقي الذي يتم ادّعاؤه. ونتيجةً لتطور العلوم الطبية والدراسات الجينية بالتوازي مع تقدم النظام الحقوقي العالمي الذي يرفض منطق تفوق عرق على آخر؛ لم يعد بالإمكان طرح هذا الامتياز بتلك الصراحة السائدة في أدبيات الصراع مع الهنود الحمر كما استعرضها بعض علماء الأنثروبولوجيا وفق ما تم بيانه سابقاً، ورغم ذلك لا تزال عقيدة (شعب الله المختار) تراود الصهاينة ظاهراً وباطناً في تعاملهم مع الآخر، وبوجه خاص مع العرب والفلسطينيين.

هذه العقيدة الاستعمارية التي يصدق بها البعض إلى الآن ويعتنقها تصريحاً وليس تلميحاً، لا تزال في تموضعها الجوهرية في السلوك السياسي الذي تتبعه المؤسسات الصهيونية وإن تظاهرت بالديمقراطية تارة والعلمانية تارة أخرى، ولعل من أهم الشواهد الواقعية على ذلك ما ترجمته السلطات الإسرائيلية في القوانين التي استصدرتها ونفذتها بتعسف، دون أي اعتبار للقواعد والمعايير الإنسانية والدولية، من قبيل التشريد والاستيلاء على الأراضي بالقوة والسلب المنظم للممتلكات والترحيل القسري وهدم البيوت والمنشآت حتى أصبحت من الملامح العامة للسلوك الإسرائيلي الفعلي تجاه المواطنين العرب الأصليين في فلسطين.

وعلى الرغم من عشرات القرارات الدولية التي صدرت من الأمم المتحدة ممثلة بمجلس الأمن والجمعية العامة واللجان العديدة المنبثقة منهما، بل حتى تلك التي حظيت بموافقة الولايات المتحدة دون أن تستخدم حق الفيتو مثل عدم مشروعية الاستيطان وحق العودة وغيرها المتصلة بمنع تغيير معالم مدينة القدس؛ فإنَّ الأخيرة قد تجاهلت تلك القرارات وساندت بكلِّ قوَّتها العسكريَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والمعنويَّة الكيان الصَّهْيُونيَّ في مسار القتل والتهميش والإقصاء الديمغرافي المبرمج ضد الفلسطينيين، ويتجلى ذلك كوضوح الشمس في رابعة النهار حين اعتبر مفتخرًا الرئيس الأمريكي دونالد ترامب القدس عاصمة للكيان الصَّهْيُونيَّ وتلاه بالاعتراف بضم هضبة الجولان السورية المحتلة لذلك الكيان متجاوزًا القانون الدولي وجميع معاهداتها والتزاماتها بما في ذلك قرارات مجلس الأمن التي صوتت عليها الولايات المتحدة مرات عدة، وفي مقدمتها قرار مجلس الأمن رقم ٤٧٩ لسنة ١٩٨١ الذي يعتبر جميع قرارات فرض الولاية القانونية الصَّهْيُونيَّة للجولان المحتل بمنزلة إجراءات باطلة ولا أثر قانونيًّا لها، ولعلَّ هذا السلوك يذكِّرنا بالاتفاقيات والمعاهدات التي ناهزت الخمسمئة وثيقة أبرمتها حكومة الولايات المتحدة مع الهنود الحمر وكان مصيرها نفس التنكُّر والنسيان، بما في ذلك الأحكامُ القضائيَّة التي أصدرتها المحاكم الأمريكيَّة وأهملت الحكومة التي تتغنَّى بالمؤسَّساتيَّة تنفيذها.

ولكي نعيد السؤال السابق بصيغة أخرى: هل يمكن عقد التشابه السياسي (Political Analogy) في حالتي الهنود الحمر والفلسطينيين بشكل يحاكي أدبيات الأنثروبولوجيا السياسية كما تم الإتيان على ذلك في صدر الدراسة؟

على الرغم من قلة الدراسات التي تتناول هذا الموضوع؛ فإنَّ البعض منها قد تعرَّض إلى ذلك بشكل عام أو خاص أو إلى جزئيات من هذا التشابه في حين

أنكرها آخرون، فعلى سبيل المثال انطلق وليام أبروزي (William Abruzzi)، في دراسته المعنونة: (الاستعمار والمقاومة في أمريكا الشمالية وفلسطين)، من فرضية أساسية مفادها أن التشابه بين الفلسطينيين والهنود الحمر هو نتاج من تشابه العمليات الأيكولوجية والاجتماعية الكامنة خلف السلوك البشري (Abruzzi, 2003)، كما ذهب إلى ذات النتيجة ستيفن سالايتا (Steven Salaita)، في دراسة عنوانها: (الدراسات الأمريكية الهندية والتضامن الفلسطيني)؛ إذ عقد مقارنة بين الفلسطينيين والهنود الحمر من حيث تشابه ظروف المعيشة والاستهداف والظلم الجماعي (Salaita, 2017, p. 23-24).

وعلى الجانب الآخر، عارض هذه المقارنة، وإن كانوا من الأقلية، رايان بيلاروز (Ryan Bellerose)، الذي انتقد في دراسة بعنوان: (لا تخلطوا بين معارك السكان الأصليين مع حقوق الفلسطينيين)، محاولات التشبيه بين الهنود الحمر والفلسطينيين؛ وذلك لأن الهنود الحمر هم مواطنون أصليون يمتلكون الأرض التي استولى عليها المهاجر الأبيض من أوربّا، بينما فلسطين هي بالأساس أرض يمتلكها اليهود، وقد تم طردهم منها أساساً من قبل الرومان ثم العرب، وبناءً على ذلك فهم المواطنون السابقون والعرب هم المحتلون، وقد رجعت الأرض إلى ملاكها الأصليين (Bellerose, 2014)، ومن المعروف أن بيلاروز هو أحد النشطاء في قضايا حقوق الهنود الحمر ولكنه في الوقت نفسه مناصر للكيان الصهيوني حيث أسس منظمة باسم اتحاد كالجاري مع إسرائيل (CUWI) (Calgary United With Israel)، فلا غرابة أن يتبنى هذا الرأي غير المنصف تاريخياً وعلمياً.

وتجدر الإشارة إلى أن ستيفن سالايتا الذي اضطلع في البحوث والدراسات المقارنة التي تتناول الشعوب الأصلية قد قام بعقد أوجه المقاربة في الأنثروبولوجيا السياسية بين التجربتين، ففي أحد مؤلفاته أجرى سالايتا دراسة

مقارنة بين الهنود الحمر والفلسطينيين من حيث إنهم تعرّضوا إلى احتلال بمبررات متشابهة، مؤكداً أنّ تلك المقارنة كانت مستحقة جداً لأنها تستند إلى ما أطلق عليه بالتداخل الثقافي (Intercultural) الذي يجمع تجارب معظم الشعوب التي خضعت للاحتلال والاستعمار. وخلص الباحث إلى أن الاستعمار الأوربي لأراضي الهنود الحمر والإسرائيلي للأراضي الفلسطينية قد تأسّسا على فكرة الاستثناء والاختيار، وبموجبها تم تبرير الاحتلال (Salaita, 2008, p. 2-3).

وفي دراسة أخرى، بين سلايتا الضغوط الشديدة حتى في الأوساط الأكاديمية الأمريكية لردع أي عمل علمي يعقد المقارنة بين تجربة الهنود الحمر بنظرائهم الفلسطينيين؛ وذلك لأن الصّهيونية لا تود أن تجلس في كرسيّ التاريخ الأمريكي حتى لا توسم إسرائيل بأنها دولة مستعمرة. كما استعرض الباحث أهمية الدراسات المقارنة بين الهنود الحمر والدراسات الفلسطينية من منظور مساهمتهما في زيادة التضامن مع الفلسطينيين لتشابه الكثير من الوقائع بينهما، خاصة من حيث تماثل الصورة الذهنية للأساس الديني في كل من الدولتين الأمريكيّة والإسرائيليّة. ويتوسع سلايتا أكثر في هذا الطرح الاستدلالي على تحقق المقارنة الأنثروبولوجية السياسية بين التجربتين قيد البحث ضمن كتابه المعنون: «إنهاء استعمار المواطنين الأصليين والفلسطينيين» (Salaita, 2016, p. 14).

يشمل التشابه الكبير بين الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصّهيونيّ بداية نشأة كل منهما على أساس الأسطورة الدينية المتصورة عن أرض الميعاد (The Promised Land) والحق الإلهي في الاستيلاء من زاوية البعد الديني، مروراً بتأسيس نظام علماني ديمقراطي يقوم بإصدار مجموعة من القوانين باسم المدنية والمؤسسية لاستهداف حق الغير في أرضه ووجوده وحقوقه، علاوة على الهندسة الأيديولوجية (المعمدة) علمياً باختلاف الأجناس وتفق

أحدها على الآخر كما في نموذج الولايات المتحدة الأمريكية، أو من أجل تكوين حق تاريخي في حالة الكيان الصهيوني، وانتهاءً بالاستخدام المفرط للأداة العسكرية لتكريس الأمر الواقع وفقاً للأسطورة الدينية، وأن كل ذلك لا يمكن أن يكون منفكاً بعضه عن بعض حتى لو اختلف المكان والزمان، فالبعد (الزمكاني) الذي يعتبر ركناً أساسياً في فهم ظاهرة العلاقات الدولية وانتقالها من زمن لآخر أو من مكان لآخر وفق قانون جدلية المصلحة والقوة هو الذي يجعلنا نجنح إلى وجود السببية والمقاربة في كلتا الحالتين.

فلا مندوحة من أن مقارنة الأنثروبولوجيا السياسية مستحقة وثابتة، خاصة في سياق تشابك الثقافة الدينية والسياسية التي أسست لقيام الكيانين الأمريكي والصهيوني، ناهيك عن التداخل الإستراتيجي في بناء النظام المؤسسي الداخلي ومخرجاته القانونية التي انعكست على المواطنين الأصليين في أمريكا الشمالية والشعب الفلسطيني على حد سواء.

كما أن التشابك الإستراتيجي الذي ساد العلاقات بين إسرائيل وأمريكا قد تعزز مع مرور الوقت بفضل الجذور الثقافية التي اختمرت في الفلسفة السياسية الرسمية للنظامين. وبناءً على هذا الأساس؛ فإن أحد المداخل المهمة في التحليل السياسي لتلك المقاربة في إطار العلاقات الدولية لا بد أن يكون منطلقاً من مفهوم (مستوى التحليل الثقافي).

إن فهم ظواهر العلاقات الدولية، وفق منظور مدرسة الواقعية الجديدة التي عبرت عنها أطروحات كينيث والتز (Kenneth Waltz) في كتابيه الشهيرين: «الرجل والدولة والحرب» (١٩٥٩) ثم «نظرية العلاقات الدولية» (١٩٧٩)، ربما يساعدنا في تفسير العلاقة (الزمكانية) التي جمعت التجريبتين الهندية والفلسطينية على أساس فوقي قائم على منهجية مستويات التحليل السياسي الذي قدمه مجموعة من علماء العلاقات الدولية وعلى رأسهم ديفيد سنجر

(David Singer)، ففي غمرة السجال الدائر بين علماء العلاقات الدولية، وتحديدًا بين المدرسة الواقعية والواقعية الجديدة، برز التباين جليًا حول تحديد المستوى الأنسب للتحليل في فهم أحداث ووقائع العلاقات الدولية، حيث قسم ديفيد سنجر مستويات التحليل إلى مستويين رئيسيين هما مستوى تحليل الدولة ومستوى تحليل النظام الدولي، ورجّح سنجر المستوى الأول باعتباره الأقرب لشرح وفهم التفاصيل، بينما يذهب المستوى الثاني إلى طرح قوانين عامة لا تعالج دقائق الأمور المهمة لاستيعاب طبيعة العلاقات الدولية المتغيرة (Singer, 1961, p. 80-85).

في المقابل، طرح كينيث والتز (Kenneth Waltz) ثلاثة مستويات للتحليل السياسي، تتدرج من مستوى تحليل الفرد ثم مستوى تحليل الدولة وتنتهي بالمستوى المنظومي أو العالمي. وبعد مناقشة مستفيضة لهذا التقسيم الثلاثي خلص والتز إلى نتيجة مفادها أنّ المستوى الذي يمكن أن يعطي تفسيرًا علميًا منتظمًا على شكل قواعد عامة من شأنها تشكيل نواة لنظرية شاملة للعلاقات الدولية هو المستوى المنظومي أو العالمي (Waltz, 1959).

وعلى جانب آخر، ظهر رأي أكثر حداثة بيد أنّه أقل شهرة من سابقه تحت مسمى مدرسة «كوبنهاجن» (Copenhagen School) التي ترى أن مستوى التحليل المؤسس على ديناميكية الحركة الإقليمية بين دول تجمعها خصائص جغرافية واقتصادية محددة قد يكون الإطار الأنسب لفهم ظواهر الواقع الدولي خاصة بعد انهيار نظام القطبية الثنائية والحرب الباردة (Soltani, Naji & Amiri, 2014, p. 168-170)، ويضيف أنصار هذه المدرسة أن مستوى تحليل الدولة لا يمكن أن يعالج شرح حركة الدول وسياستها الخارجية باعتبار أنّها تعمل ضمن وحدات سياسية محايدة لها قد تكون ذات طبيعة يسودها الصراع أو التعاون أو التحالف أو التنافر، كما أن مستوى

التحليل المنظومي لم يعد قادرًا على شرح الكثير من النتائج العالمية ولا سيَّما بعد انتهاء الحرب الباردة وتغيُّر النظام الدولي من معادلة (٢+٣) المكونة من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة كقوى عظمى مهيمنة (Superpowers) إلى جانب الصين واليابان ودول الاتحاد الأوروبي كدول عظمى (Great powers)، باتجاه نظام دولي جديد وفق نموذج (١+٤) المتمثل بالولايات المتحدة كدولة عظمى مهيمنة إضافة إلى كل من روسيا والصين واليابان ودول الاتحاد الأوروبي كدول عظمى.

يبدو جلياً إذن أنَّ التغيرات في النظام الدولي، إلى جانب القصور التنظيري لمستويات التحليل، لا تزال محل جدل كبير بين منطري العلاقات الدولية، ومن ثَمَّ ورَعَم الاتفاق بينهم على أنَّ هناك عدة مستويات للتحليل يمكن من خلالها النظر إلى ظواهر العلاقات الدولية ومناقشتها بشكل منطقي يرقى إلى الشرح العلمي وفق الأصول الموضوعية لأسس نظرية العلاقات الدولية، فإنَّ السجال لا يزال محتدماً حول المستوى الأكثر دقَّة لتفسير ظواهر السياسة العالمية، وفي هذا الصدد لا يمكن لأي من المستويات الأربعة (الفردية، الدولة، الإقليمي، المنظومي) المطروحة أن يقدم شرحاً متكافئاً لتماثل الحالتين الأمريكية والإسرائيلية في تعاملهما مع الهنود الحمر والفلسطينيين من جانب، والتحالف الإستراتيجي القريب إلى التطابق في السلوك السياسي إزاء كلتا الحالتين على مستوى العلاقات الدولية من جانب آخر؛ وعليه فإنَّ هذه الدراسة تقترح إضافة منظور جديد للتحليل السياسي يمكن تعريفه بمستوى التحليل الثقافي (Cultural Level of Analysis).

يرتكز مستوى التحليل الثقافي أساساً على البعد المعرفي والنسق الأيديولوجي الذي يضم مجموعة كيانات سياسية لا تقع بالضرورة في حيز جغرافي واحد أو حتى متقارب ولا في زمن مشترك أيضاً، كما يمكن القول: إنَّ البعد الثقافي

في هذا المستوى من التحليل يقع بين المستويين المنظومي والإقليمي للتحليل من حيث الدرجة، لكنه في الوقت نفسه يخترقهما ليجمع بين أطرافهما كيانات متقاربة من حيث ثقافتها السياسية التي يمكن أن تكون بدورها ذات منشأ أنثروبولوجي يتجسد عملياً في بنية النظام السياسي وسلوكه على الصعيدين الداخلي والخارجي؛ الأمر الذي استوجب الاستعانة بالمنهج التاريخي السياسي الأنثروبولوجي المقارن في هذه الدراسة مثلما تم شرحه في المقدمة.

وكما تمت الإشارة إليه، يسعى هذا النموذج التعددي للمنهج المقارن إلى شرح السلوك والأنماط السياسية المتشابهة في ظاهرها من خلال الكشف عن شبكة العلاقات الخلفية لها، والتي تتشابه في مقاربات دينية وفلسفية وعرقية لتشكل في مجملها ثقافة سياسية واحدة، ومثلما عرّف جورج بالاندييه في كتابه (الأنثروبولوجيا السياسية)؛ فإنّ هذا الحقل المعرفي من شأنه أن يكون «أداة اكتشاف ودراسة شتى المؤسسات والممارسات التي تحقق حكم الناس فضلاً على أنّها أداة اكتشاف لنُظم التفكير والرموز التي تستند إليها» (بالاندييه، ٢٠٠٧، ص. ١٧). كما يجادل بالاندييه بأن الأنثروبولوجيا السياسية تبحث في النُظم المقارنة التي تنتج إستراتيجيات متشابهة أو متنافرة عبر نسج العلاقة الجدلية بين (السلطة والمقدس)، وقد عبّر عن ذلك بالقول: إنّ كتابه يهدف إلى تناول

علاقة السلطة بالبنى الأساسية التي تقدم لها ركيّزتها الأولى وب نماذج التدرج الاجتماعي التي تجعل هذه العلاقة ضرورية بالطقوس التي تحقق تجذرها في المقدس وتتدخل في إستراتيجياتها (ص. ١٣).

وفي شرحه للتداخل بين السلطة والمقدس والاستفادة منه في كل النظم السياسية بغض النظر عن شكلها الأيديولوجي، يضيف بالاندييه (٢٠٠٧):

لا يمكن إنكار تداخل المقدس والسياسي في هذه الحالات، وهو تداخل بقي ظاهراً في المجتمعات المُعلّمة التي لم تكن السلطة فيها أبداً

خالية من محتواها الديني الذي يبقى حاضراً، مختصراً، ومكتوماً...
من طبيعة السلطة نفسها أن تحتفظ بشكل ظاهر أو مقنع بدين حقيقي
سياسي (ص. ١٢٨).

لذلك؛ فإن مفهوم القوة المستمدة من الله تبقى هي القوة التي تسمح
للإنسان بالسيطرة مستغلاً جميع الوسائل التي تبيحها تلك الغاية، ولكن
على السلطة التي تود القيام بذلك أن تقوم بعملية تسويق لتلك الإرادة
الإلهية بأشكال مختلفة وفقاً لمؤسساتها وبيئتها السياسية بغض النظر عن
شكلها العلماني الخارجي، وهو ما تم بالفعل في نشأة التكوين في كل من
الولايات المتحدة الأمريكية والكيان الصهيوني؛ مما قد يستدعي حقن الثقافة
الدينية بالتنشئة السياسية والمبنيات الأيديولوجية للمؤسسات الرسمية
وغير الرسمية على حدٍ سواء؛ لتحقيق ما أطلق عليه الفيلسوف الإيطالي
أنطونيو غرامشي (Antonio Gramsci) «الهيمنة الثقافية»، حيث إنه بعد
أن يتشكل النظام السياسي يتم احتواؤه بسيل من القوانين التي تتسق مع
غاية السيطرة والتهميش والاعتصاب ولكن عبر ما يطلق عليه بالمؤسسات
المدنية، وهذه المؤسسات التي نشأت في تلك البيئة لا يمكن أن تنتج علاقات
سياسية متساوية أو متكافئة، في حين أن تحديها من أي طرف وخاصة
الذي وقع عليه التهميش والاعتصاب سيكون بمنزلة «انقلاب غير مدني أو
غير حضاري».

بمعنى آخر؛ فإن المقدس والسلطة السياسية مرتبطان بنيوياً مما يمهّد لنشوء
علاقة إستراتيجية بينهما، وفي هذا السياق استشهد بالانديه بمجموعة من
الدراسات على بعض الشعوب والقبائل في أفريقيا، فاستنتج أن الارتباط الوثيق
بين البنى المقدسة والسلطة السياسية من شأنه أن يحقق للسياسيين بسط النفوذ
والهيمنة الفكرية على المجتمع وصيرورته، وملاك ذلك أنه في ظل العلاقة

بين السلطة والمقدس تترتب الأسطورة التي تنبثق منها البديهيّات والمسلّمات وتتحول إلى حقائق ومقولات عليا مقبولة حتى لو لم تكن معقولة؛ أي: إنّ الأسطورة في هذه الحالة تكون بمنزلة (الميثاق الاجتماعي) وفّق تعبير بالانديه مستعيراً الوصف الذي أطلقه برونيسلو مالينوسكي (Bronislaw Malinowski) على ذلك الميثاق بالقول: إنّ «أداة امتياز بالسلطة والملكية» (بالانديه، ٢٠٠٧، ص. ١٤٨)، ولذا فإنّ النّظام السياسيّ والنّخب التي تسيطر عليه وتوفّر له الأطر القانونية والتشريعية هي التي تقرّر الحقّ والفضيلة والأخلاق السياسيّة التي ترسّخ بدورها في المحصّلة النهائية للسلطة تملكها أو تسيدها على المقدس، فيكون بذلك مجرد وسيلة لتحقيق الغاية السياسيّة.

بناءً على ذلك، يمكن القول أيضاً: إنّ الأسطورة المقدسة التي أوجدت كلّاً من أمريكا والكيان الصّهيونيّ قد أدّت دوراً محورياً ليس في تبرير قهر الآخر وسلبه حقوقه الأصيلة في الأرض، وإنما كذريعة لصناعة أي مستقبل وفق الإجراء السياسي المفضل، ويتمثل ذلك بإحدى الطرائق الإستراتيجية المبنية على المقدس المسيّس الذي لا يقبل النقاش ولا حتى التفكير بكونه مقبولاً ومتفقاً مع أصله الأسطوري، فلن يكون بمقدور أحد أن يخضعه لمنطق المعقول، ولعل أحد أوجه ذلك التداخل بين المقدس والسياسي هو الذي تجسد مؤخراً في قرار الإدارة الأمريكية رسمياً في اعتبار القدس عاصمة للكيان الصّهيونيّ على الرغم من إدانتها لاحتلال هذه المدينة في عام ١٩٦٧ والتوافق مع المجتمع الدولي عبر قرار مجلس الأمن رقم (٢٤٢) الذي يدعو إسرائيل صراحةً للانسحاب من الأراضي المحتلة بما فيها القدس وعدم إقامة أي مستعمرات فيها، علاوة على حزمة قرارات دولية أخرى متوالية تصب في المغزى ذاته وهو عدم الاعتراف بالإجراءات الإسرائيلية في القدس كالقرار رقم ٢٥٣ لسنة ١٩٦٨، والقرار رقم ٢٢٥٣ لسنة ١٩٧١، والقرار رقم ٤٦٥ لسنة ١٩٨٠، والقرار رقم ٤٧٦ لسنة

١٩٨٠، والقرار رقم ٤٧٨ لسنة ١٩٨٠، والقرار رقم ٢٢٣٤ لسنة ٢٠١٦، إضافةً إلى قرارات كثيرة مشابهة لها في المضمون قد صدرت من الجمعية العامة للأمم المتحدة (الدعة، ٢٠١٨).

وعلى الرغم من أن تلك القرارات قد كانت بموافقة الولايات المتحدة الأمريكية مما يفترض أن يكون ضابطاً أساساً لسلوكها السياسي الدولي؛ فإنَّ تغليب المصلحة الإستراتيجية المدفوعة بحوافز الأسطورة الدينية المتطرفة التي تشكّل حيزاً كبيراً في شخصيتي بنيامين نتانياهو ودونالد ترامب هي التي أولدت تلك القرارات الاستحوازية دون أدنى مراعاة للمجتمع الدولي وللمعايير «الدول المتحضرة التي يدعون إليها خصومهم».

وبالعودة مرة أخرى إلى بالانديه (٢٠٠٧) نجده ينتهي إلى القول:

علينا أن نلاحظ أيضاً أن الأنثروبولوجيا السياسية تحت، وبطريقة أكثر انتقاداً، على تفحص أنساق الأيديولوجيا التي بواسطتها تعبر المجتمعات التقليدية عن نفسها وتبرر نظامها الخاص (ص. ٢٢٧-٢٢٨).

والجدير ذكره هنا أن اختلاط المقدس بالسياسي وبالسلطة ليس محدوداً بالقبائل الأفريقية أو بمجتمعات العالم الثالث التقليدية، بل إنّ هذه الأنثروبولوجيا السياسية التي تقوم وفق هذا الأساس وتصدر إستراتيجياتها بناءً عليه تشمل أيضاً النظم الأخرى التي تدّعي الحداثة والديمقراطية والمدنية، وإن تباينت الطرائق والأشكال والمسميات.

ولعل عدم شمول دراسة جورج بالانديه على المجتمعات والنظم الغربية وخاصة الديمقراطية يعد من المثالب المهمة وأحد أوجه القصور في أطروحته الخاصة بالأنثروبولوجيا السياسية، ولكن ذلك لا يشكل انتقاصاً لقيمة كتابه؛ لأن ما استعرضه كان محدوداً في نطاق مجتمعي معيّن وهو لا ينفي اشتغال

المجتمعات الأخرى بذات القواعد النظرية السلوكية الناتجة منها.

بناءً على ما سبق؛ يمكن القول: إنَّ توظيف المنهج الأنثروبولوجي السياسي يمكن أن يكشف عن أهمية النظر إلى مستوى التحليل الثقافي كإطار جديد يساعد في فهم العديد من الظواهر العالمية خاصة في فترة ما أطلق عليه صامويل هنتجتون (Samuel Huntington) صراع الحضارات (The Clash of Civilizations) (Huntington, 1993, p. 22-23).

والجدير بالذكر أن مفهوم الأمة في الإسلام قد يتقاطع، إن لم يتشابه إلى حد كبير، مع مستوى التحليل الثقافي المشار إليه وفق منطق التحليل الأنثروبولوجي السياسي الذي عبّر عنه بالانديه، وقد ذهبت إلى ذلك أماني صالح (٢٠١٠) في دراستها (الأمة كمستوى للتحليل في العلاقات الدولية)، وشرحت مفهوم الأمة باعتباره معبراً عن مدلول لحركة جماعية مدفوعة بمختلجات ثقافية وحضارية واحدة تُمثّل لها انعكاساً في سلوك سياسي واحد، وقد عبّرت عن ذلك المقصد بالقول:

«ولا يتسم تاريخ الأمم بالثبات أو الركود بل بالحركة الدائبة والتغير المرتبط بالتحوّلات الطارئة على الأفكار والعقائد الجماعية، ويؤدّي التغير الذي قد يطرأ على العقائد إلى تغير في تعريف حدود الجماعة ونطاق الانتماء واتجاه الولاء؛ ومن ثمّ التغير في بنية الأمة وحدودها، قد يتحقق ذلك من خلال تطورات داخلية كظهور عقائد فرعية؛ مثل الأثر الذي خلفه ظهور المذاهب البروتستانتية على بنية النظام السياسي والاجتماعي والكنسي الأوربي، والذي أدّى إلى تقسيم أوربا المسيحية الغربية التي عبرت عن نفسها بجلاء كأمة واحدة في الحروب الصليبية إلى جماعتين عقيديتين، ثم لم تلبث أوربا عبر عمليات معقدة ودامية استغرقت عقوداً من التفاعلات السياسية والفكرية التعاونية والصراعية

أن وصلت إلى نظام عقيدي جديد للتعايش هو العلمانية بمختلف المدارس الفكرية المعبرة عنها» (ص. ١١٤).

إن مستوى التحليل الثقافي هو الوحيد من بين مستويات التحليل الذي يستطيع الانتقال مكانياً وزمانياً بحيث يمكن أن يشرح ظاهرتين سياسيتين قد وقعتا في منطقتين ووقتين مختلفين، ويكشف في الوقت نفسه عن الاتصال العضوي السياسي الذي يصل إلى الحد الإستراتيجي بين الفواعل الرئيسة في كلا الحدين، مثلما هو الحال في الحالتين موضع الدراسة، كما يشرح مستوى التحليل الثقافي الحالة الراهنة للواقع الدولي التي تكتنفها أوجه الصراع الحضاري والأيدولوجي، سواء الذي تسود فيه المكونات الدينية والقومية أو الكنتينات الاقتصادية أو المجموعات السياسية عبر القومية المنتشرة على نطاق واسع في العالم وفق أشكال غير حكومية متعدّدة، حيث إنّ غالبية تلك الكيانات، حكومية كانت أو غير ذلك، تقف ضدّ مفهوم الدولة الحديثة الذي استقر عليه النظام العالمي بعد معاهدة وستفاليا (Treaty of Westphalia) عام ١٦٤٨.

فإذا كان مفهوم الدولة القومية قد ثبت على ثلاث قواعد تتمثل في الشعب والأرض والسيادة وفق مبادئ المساواة في المواطنة والجنوح في اتجاه النمط العلماني؛ فإنّ هناك تغييراً في نمط الدولة في الوقت الراهن حيث حلت المعايير الثقافية والحضارية كمعيار قوي في تفسير السلوك السياسي للكيانات السياسية ممّا أوجد حالة انتقالية للنسق الدولية، سواء كانت على شكل تحالفات أو تعاونيات أو غير ذلك، ولم تعد سيادة الدولة كالسابق تقوم في شكلها التقليدي على وجود سلطة تمثل الدولة الأمة (Nation State)، بل أصبحت تميل في اتجاهين: الأول يعود بمفهوم الدولة للقدم حيث كانت تركز على الهوية الحضارية أو الدينية، والآخر يقود إلى تفسير مفهوم السيادة لكي

تضعف الدولة أمام إمبراطوريات الأموال والتجارة، وكلا الاتجاهين له خلفياته الفكرية والثقافية والأيدولوجية بشكل قد يبدو مُتضادًا، بينما يشتركان في تشكيل جبهة جديدة ضد مفهوم الدولة الوستفالية.

ومن ثَمَّ؛ فإنَّ مفهوم الدولة قد يمتد جغرافيًا وتاريخيًا بمعنى الامتداد المكاني والزماني، الأمر الذي من شأنه أن يدفع ببلورة مفهوم جديد يختزل هذه الصورة، وهو الزمكانية، كمفهوم يشرح المقاربة بين الحالتين قيد البحث في هذه الدراسة، ويكشف عن أسباب تلك المقاربة التي تستقر على ثقافة الأنثروبولوجيا السياسية التي تكتنف فاعليهما الرَّئيسيّين وهما الولايات المتحدة ودولة إسرائيل.

ومن هنا تبقى فرضية أو حتى فكرة التحدي لوجود الأسطورة الدينية السياسية التي ساهمت في تكوين هذين الكيانين على حساب حقوق شعوب أخرى في غاية الصعوبة؛ لأنها تغلفت بتركة ثقافية مهيمنة (Paradigm)، لا تتيح التفكير إلا من خلال مكوّنات أنثروبولوجية على شكل قوالب جامدة تشكل في محصلتها النهائية مقولات عامة بديهية لا تقبل إعادة التفكير فيها، حيث لا يمكن القبول بفكرة زوال الاحتلال الإسرائيلي أو استرجاع حقوق الهنود الحمر في أراضيهم المسلوبة، وهكذا بقية المواضيع الأخرى ذات الصلة مثل عودة اللاجئين أو استعادة أملاكهم أو استعادة القدس للفلسطينيين.

انطلاقًا ممّا سبق، خلصت الدراسة إلى مجموعة من المتغيرات المتشابهة بين الحالة الفلسطينية التي تبلورت صورتها بوضوح مع بدايات القرن العشرين وحالة الهنود الحمر التي سبقتها بنحو أربعة قرون، رَغْمَ بَعْضِ الفوارق المُهمّة بين النّموذجين التي قد تقود إلى استنتاجات مختلفة بشأن المآلات السياسية المستقبلية لكل منهما.

وعلى ضوء ما جرى بيانه في القسمين الثالث والرابع من الدراسة؛ فإنّ كلتا التجربتين استندتا إلى أيديولوجية التمييز العنصري المتمثلة في تفوّق الرجل الأبيض والنظرة الدونية إلى الجنس الهندي باعتباره عائقاً أمام التطور والمدنية من جهة، وعقيدة (شعب الله المختار) المرتبطة بفكرة أرض الميعاد والمستمدة من الديانة اليهودية في الحالة الفلسطينية.

كما شهدت الحالتان الفلسطينية والأمريكية ظاهرة الهجرة الجماعية من منبعها الأوربي تحديداً كعنصر مشترك آخر، بيد أن تدفق الهجرة الأوربية نحو العالم الجديد قدّر بالملايين من البشر وشمل مزيجاً جامعاً من الأجناس والعرقيات والديانات المختلفة، وإن كان ظاهراً فيها تفوق الأنجلوسكسون والديانة المسيحية التي تعتبر من أكثر الديانات العالمية وأوسعها انتشاراً، في مقابل أن الهجرة باتجاه الأراضي الفلسطينية كانت مقتصرة على أتباع العقيدة اليهودية التي تعتبر من أصغر الديانات من حيث العدد؛ الأمر الذي ترتّب عليه سرعة تحقيق التغيير الديمغرافي في أمريكا حيث فاق جموع المهاجرين الأوربيين عدد الهنود الحمر في مدى قصير جداً، علاوة على التناقص المنظم للسكان الأصليين بسبب حروب الإبادة المصحوبة بانتشار الأمراض الفتاكة بين القبائل الهندية فحصدت أرواح الكثير منهم، بينما واجه اليهود صعوبة كبيرة في فرض هذا النوع من التغيير الديمغرافي على الأرض، وجاءت المفارقة بين التجربتين في إعلان المهاجرين البيض دولتهم المستقلة عام ١٧٧٦ كأغلبية تشكّل ما نسبته ٨٠٪ من مجموع السكان في حين أن دولة إسرائيل التي أعلن عن قيامها عام ١٩٤٨ كانت تمثل الأقلية اليهودية ونسبتها ٣٠٪ من مجموع السكان على أرض فلسطين (راجع الجدولين ١، ٤).

بمعنى آخر، لم يتحقق لليهود ما أنجزه الأوربيون في أرض الميعاد لكل منهما، فرغم سياسة الإبادة والتهجير التي مارسها الفريقان هبط عدد الهنود

الحرر إلى أدنى مستوى له في سجلّها التاريخي واستقر عند نسبة ١-٢٪ من مجموع سكّان الولايات المتّحدة؛ ممّا يعني تلاشي أيّة آمال مستقبلية لعودتهم كأمة أو حتى أقلية مؤثّرة في المجتمع الأمريكي.

على الطرف النقيض، استطاع الفلسطينيون ليس فقط المحافظة على وجودهم وهويّتهم خارجَ وداخلِ أرضهم التّاريخية بل ومقاومة التّغيير الديمغرافي الذي بات يميل بقوة لصالحهم في المستقبل؛ إذ تُبيّن المؤشرات السكانية كما رصدها الباحثون اليهود أنّ الفلسطينيين قد أدركوا التوازن الديموغرافي مع اليهود منذ عام ٢٠٠٠، كما أن السيناريو المرعب الذي ينتظر اليهود بحسب وصف أمنون دنكر سيكون في عام ٢٠٥٠ عندما يتناصف عرب ١٩٤٨ فقط مجموع سكان إسرائيل (السهلي، ٢٠٠٤)، بينما سيتجاوز إجمالي عدد الفلسطينيين (٢٦ مليون نسمة) ضعف مجموع السكان اليهود (١٠ مليون نسمة) مع منتصف القرن الحالي (انظر: الجدول ٩).

يختلف متغير الإبادة أيضاً في الحالة الفلسطينية عنه في تجربة الهنود الحمر، فالمهاجرون من أوربا استندوا إلى طرائق الإبادة الأحادية والجسديّة في تصفية الهنود الحمر ونجحوا في تقليص أعداد هذا الجنس العرقي من ١٥ مليون إلى أقلّ من ربع مليون نسمة على مدى قرن ونصف من الزمن، واندثر بذلك التراث الحضاريّ للسكّان الأصليين تمهيداً لاحتواء من تبقى منهم عبر سياسة التّجنيس والتّضمين (Inclusion)، بينما لجأ اليهود إلى منهجية الإبادة الجسدية والحضارية المتمثلة بالطّرد والاستحواذ (Exclusion) على المكان، ومن ثمّ تهويد ذلك المكان من خلال التّحكّم الأحادي في إعادة صناعة التراث والآثار والميراث، ولعل السبب في ذلك يعود جزئياً إلى تعديل التكتيك المتّبع في كلتا الحالتين من قبل الجاني وفقاً للمتغير الإعلاميّ.

جدول (٩) توقّعات مختلفة لأعداد السكان اليهود والعرب في الأراضي
الإسرائيلية والفلسطينية (٢٠٠٠-٢٠٥٠) (بالآلاف)

السنوات	يهود إسرائيل	عرب إسرائيل	سكان إسرائيل	الأراضي الفلسطينية	مجموع الفلسطينيين	المجموع الإجمالي
٢٠٠٠						
أعلى التوقعات	٥,٢٠١	١,١٨٥	٦,٣٨٦	٣,٠٢٧	٤,٢٠٩	٩,٤١٠
التوقعات المتوسطة	٥,١٦٨	١,١٧٨	٦,٣٤٦	٢,٩٧٣	٤,١٥١	٩,٣١٩
أدنى التوقعات	٥,١٣٥	١,١٧١	٦,٣٠٦	٢,٦٩٦	٣,٨٦٧	٩,٠٠٢
٢٠١٠						
أعلى التوقعات	٦,٠٦٥	١,٥٧٤	٧,٦٣٩	٤,٤٥٢	٦,٠٢٦	١٢,٠٩١
التوقعات المتوسطة	٥,٩٨٠	١,٥٥٥	٧,٥٣٥	٤,١٦٣	٥,٧١٨	١١,٦٩٨
أدنى التوقعات	٥,٨١٠	١,٥٣٥	٧,٣٤٦	٣,٢٤٠	٤,٧٧٥	١٠,٥٨٦
٢٠٢٠						
أعلى التوقعات	٦,٩٠٢	٢,٠٩٢	٨,٩٩٤	٦,٥٧٠	٨,٦٦٢	١٥,٥٦٤
التوقعات المتوسطة	٦,٦٩٧	١,٩٧٦	٨,٦٧٣	٥,٦٨٠	٧,٦٥٦	١٤,٣٥٣
أدنى التوقعات	٦,٢٩٦	١,٨٥٥	٨,١٥١	٣,٩٧٥	٥,٨٣٠	١٢,١٢٦
٢٠٥٠						
أعلى التوقعات	١٠,٣٩١	٤,٤١٩	١٤,٨١٠	٢١,٦٥٥	٢٦,٠٧٤	٣٦,٤٦٥
التوقعات المتوسطة	٨,٨٧٠	٣,١٢١	١١,٩٠١	١١,٥٦٠	١٤,٦٨١	٢٣,٤٦١
أدنى التوقعات	٧,٣٢٣	٢,٠٦٥	٩,٣٨٨	٦,٠١٩	٨,٠٨٤	١٥,٤٠٧

● المصدر:

- Pergola, Sergio Della. (2001, August). Demography in Israel/Palestine: Trends, Prospects, Policy Implications. Presented at IUSSP XXIV General Population Conference (S64) on Population Change and Political Transitions, Salvador de Bahia, Brazil (p. 17).

ففي حالة الهنود الحمر غاب كلياً النقل الإعلامي المصور والموثق لأحداثها الدامية التي توارث سردها النقل النصي القابل لمختلف أشكال التحوير والتزوير والإنكار، في حين صنع النقل الإعلامي المصور بعض الموانع لارتكاب مجازر (صلعاء) التي قد تكون أكثر وقعاً على القرار السياسي والرأي العام الشعبي والأممي.

لكن على الرغم من بعض سمات الاختلاف في هذه المتغيرات بين الحالتين الهندية والفلسطينية، فإنَّ ثَمَّةَ قواسمٍ أساسيةً مشتركة قد تفسر مكنون التحالف المتجذر والعميق والمستمر بين الحكومة الأمريكية والدولة اليهودية في مواجهة التحديات المعاصرة والمستقبلية التي تلاحق الطرفين على خلفية الأيديولوجية العنصرية وسياساتها الرسمية ونتائجها العملية، تجاه الحالة الفلسطينية تحديداً.

فالتحالف الإستراتيجي بين الولايات المتحدة وإسرائيل منذ قيام الدولة اليهودية عام ١٩٤٨ قد ارتبط بشكل وثيق بطبيعة التوجّهات والتطبيقات الثنائية المتشابهة بينهما من حيث التفوق العنصري والمظلة الدينية لتبريره؛ الأمر الذي يؤكد وجود المنظّمات نفسها ذات الجذور الدينية واليمينية المتطرفة والنشطة بقوة في المجتمعين الأمريكي والإسرائيلي، والغطاء الحكومي الرسمي للممارسات القمعية على الأرض وحمايتها في الداخل الفلسطيني ورعايتها دولياً من قبل الإدارات الأمريكية المتعاقبة، لذلك باتت الولايات المتحدة الدولة الوحيدة في العالم المستمرة في تقديم الدعم اللامحدود لإسرائيل، والدفاع عن سياستها ضد الفلسطينيين والسائرة على نفس خطى النهج الأمريكي ضد الهنود الحمر.

ويمكن تفسير توجهات السياسة الأمريكية تجاه إسرائيل في إطار مستوى التحليل الثقافي لعقيدة الهيمنة والتوسع والاستحواذ، التي ما تزال متأصلة

في مؤسسات صنع القرار وعقلية النخب السياسية في الولايات المتحدة (Mearsheimer & Walt, 2008)، وقد ترتفع وتيرتها وتطبيقاتها عند وصول اليمين الأمريكي إلى السلطة، وتتجلى الأمثلة على ذلك في إعلان (٤٣) من أصل (٧٩) فيتو أمريكي في مجلس الأمن الدولي منذ أولى جلساته عام ١٩٤٦ لصالح إسرائيل ومنع إدانة جرائمها المتكررة بحق الإنسانية، وكان آخرها تصويتها الأخير ضد مشروع القرار الذي يرفض إعلان الولايات المتحدة الأمريكية القدس (عاصمة لإسرائيل) ونقل سفارتها من تل أبيب إلى المدينة الفلسطينية المحتلة، ناهيك عن محورية إسرائيل في عصب الانتخابات الأمريكية خصوصاً على مستوى رئاسة البيت الأبيض.

ولعلّ من أهمّ تطبيقات السياسة الأمريكية في هذا الشأن السّعي من أجل احتواء أي منظور مستقبلي قد يفضي إلى تفكيك المشروع الإسرائيلي القائم على نظرية التهويد العنصرية؛ ومن ثمّ إضعاف وجود هذا الكيان على الأراضي الفلسطينية، ويتمثل ذلك في محاولات تحييد المحيط الخارجي الحاضن للقضية الفلسطينية ومعظم شعبها المهجر عبر إلغاء حلم الدولة الفلسطينية، وتمثل إدارة الرئيس دونالد ترامب بصورة جلية أهمّ التطبيقات الراهنة لهذا التوجه من خلال ما يعرف بصفقة القرن الرامية إلى تطبيع العلاقات مع الجوار الجغرافي العربي كإستراتيجية ضامنة لأمن إسرائيل من خطر الإقليم أو ضغوطاته، إضافةً إلى إعادة تموضع الدولة الفلسطينية على تخوم غزة وسيناء لتكون في حالة الإعلان عنها خارج إطار الادّعاء الإسرائيلي في الأرض المقدّسة.

كما أن الأطروحات الأمريكية المتعاقبة التي توارثتها الإدارات المتعاقبة والمشابهة لما يتبنّاه الكثير من المنظرين والساسة اليهود، والتي حملت عدة مسمّيات كالشرق الأوسط الجديد أو إعادة تقسيم المنطقة جرّاء تفكيك عدد من الدول العربية فيها كسورية والعراق والسودان وليبيا والسعودية واليمن - قد

تأتي في سياق التبرير لتغيير الموقع الجغرافي للدولة الفلسطينية المرتقبة إن لم يكن إذابة الكيان الفلسطيني بين الحدود الجديدة لبعض الدول العربية الأخرى مثل الأردن ومصر على وجه التحديد.

ولهذا يمكن القول: إنَّ مستقبل الحالة الفلسطينية المحاصرة بعقيدة الهيمنة والتوسع والاستحواذ اليهودية مرهون إلى حدٍّ كبير بقوة ونفوذ الولايات المتحدة في إطار مفهوم التوازنات الدولية من جهة، واستمرار توغل الفكر اليميني المؤدلج دينياً في السياسة الداخلية الأمريكية من جهة أخرى، وكلا البعدين يحملان مؤشرات جديدة نحو التغيير.

فعلى الصعيد العالمي تواجه الولايات المتحدة تحديات عدة في فرض نموذج القطبية الأحادية أمام تراجع التزاماتها وتدخلاتها العسكرية في غير منطقة من العالم في مقابل صعود قوى اقتصادية وعسكرية تحاول أن تستعيد نفوذها الدولي كما في حالة روسيا أو الباحثة عن مواطن قدم لها في مواقع إستراتيجية واقتصادية جديدة، والمتمثل في زحف الصين نحو آسيا الوسطى والشرق الأوسط والقارة الأفريقية، إضافةً إلى ما يشهده النظام العالمي من تحولات متسارعة ساعدت على بروز قوى إقليمية ودولية جديدة غير قانعة بدورها ومكانتها الأممية مثل إيران وتركيا وكوريا الشمالية ومحور البريكس (BRICS)، ويضاف إلى ذلك كله حالة الاضطراب والتعقيد اللذين يعصفان بالمشهد الدولي جرّاء تعاظم أدوار المنظمات الإرهابية وانتشارها الجغرافي العابر للحدود والقارّات، في وقت لا يعتبر نموذج الإمبراطورية العالمية في طبيعة تكوين الأميركيين المتأرجحين تاريخياً ما بين العزلة والتدخلية، أو كما يصف ريتشارد هاس القوة الأمريكية العظمى بـ«البلد الذي يقال عنه (شرطي العالم) ليس إلا شريفاً متردداً»، الأمر الذي يضع على المحك المدى الزمني لاستمرار الولايات المتحدة في تحمل الكلفة السياسية لحماية إسرائيل

على حساب مصالحها وبقية التزاماتها العالمية (جوهر والعزي، ٢٠١٩، ص. ١٦٣-١٦٤).

أما على الصعيد الداخلي فيحمل التغيير الديمغرافي في الولايات المتحدة دلالات واضحة على تراجع البيض مقابل تنامي أعداد الأقليات الإثنية (راجع: الجدول ١) التي تتفق في الغالب رغم تنوعها العرقي على مناهضة الفكر المتطرف لدى الرجل الأبيض خاصة إزاء القضايا الخارجية التي تتصدرها القضية الفلسطينية.

وكانت تجربة إدارة الرئيس باراك أوباما (٢٠٠٨-٢٠١٦)، كنموذج لنتائج وصول الأقليات الأمريكية من خارج رحم اليمين الأنجلوسكسوني، لافتة بالفعل حيث شهدت العلاقات الأمريكية الإسرائيلية فتوراً غير مسبوق، وتمت لأول مرة إدانة إنشاء المستوطنات الإسرائيلية على الأراضي الفلسطينية المحتلة في مجلس الأمن الدولي، كما توجّهت الإدارة الأمريكية نحو تقليص الدعم العسكري لإسرائيل والدعوة إلى مشروع حل الدولتين مع تحييد القدس.

ومما يؤكد تأثير الديمغرافيا الداخلية في القرار السياسي ردّة فعل اليمين الأمريكي فور استعادة البيت الأبيض على يد الرئيس دونالد ترامب (٢٠١٧) وتبنّي سياسة منع تدفق المزيد من المهاجرين تحت شعار «أمريكا أولاً»، مع طرد المقيمين بصفة غير شرعية منهم، والاستماتة في بناء الجدار العازل على الحدود المكسيكية، وحظر مجموعة من الجنسيات العربية والمسلمة من دخول الأراضي الأمريكية؛ وذلك في نسخة متطابقة ومشاركة مع السياسات الإسرائيلية بحق الشعب الفلسطيني والتمثلة في عدم الاعتراف بحق العودة للاجئين الذين يبلغ عددهم (١٤) مليون نسمة من الخارج ومحاصرة من في الداخل منهم عبر الجدار العنصري الفاصل.

كنتيجة منطقية من المناقشة السابقة، يمكن القول: إنّ التجربة الفلسطينية بمعطياتها التاريخية سوف تختلف بالتأكيد في المستقبل عن تجربة الهنود الحمر التي اندثرت فعلياً، وهذا ما أفسح المجال أمام استمرار التكوين الأنثروبولوجي السياسي الأمريكي ليفرغ كلّ ما فيه من إرث استعماري وفكر الاستحواذ والتهجير والتغيير الحضاري، جنباً إلى جنب مع الدولة الصّهيونيّة كشريك، على الفلسطينيين وليس الهنود الحمر.

الخاتمة

في هذه الدراسة تم مراجعة كل من تجربتي الهنود الحمر، وما تعرّضوا له من أبشع صور التصفية الجسدية وسلب للأراضي ومصادرة كامل موروّثهم الحضاري، وما يمر به الفلسطينيون تحت نير الاحتلال والبطش والتهميش بعد عقود من القتل الجماعي والتهجير القسري ومحو لتراثهم التاريخي والثقافي، ولم تقف قيمة الدراسة على أساس أصالة موضوعها فحسب، بل اجتهداها في ربط جسور علمية، أفقية ورأسية، بين تخصصات وأدبيات بحثية مختلفة، فبينما مدت الدراسة وصل العلاقة بين تخصص النظم المقارنة بحقل العلاقات الدولية عمودياً ضمن إطار تخصص العلوم السياسية، فقد نسجت كذلك حبال الالتقاء بين تخصصي علم السياسة وعلوم الأنثروبولوجيا أفقياً، وعبر هذه التداخلات العلمية الممنهجة (Interdisciplinary Method) تم فتح أبواب السجال النظري لإيجاد آفاق جديدة للمقاربة التطبيقية بين التجربتين قيد البحث، وهو بحد ذاته يمثل قيمة علمية نأمل أن يتمّ البناء عليها مستقبلاً.

على ضوء الأسئلة البحثية والفرضيات العلمية التي تم الاستناد إليها في المقدمة؛ خلصت الدراسة إلى جملة من الاستنتاجات لعل من أهمها ضرورة الدعوة إلى إعادة قراءة واستقراء الواقع السياسي في ضوء إحداثيات التاريخ، فالدارس للتاريخ يدرك أن الأحداث الكبرى كانت على الدوام نتاجاً لأسباب تمثلت بفعل حوادث صغيرة، وهكذا ينعطف التاريخ ليغير مجراه البطيء أو السريع حياة أمم كثيرة ويفضي إلى سيناريوات جديدة يكتنفها الكثير من التركيبات السياسية والاجتماعية، فالانتفاضة التي تجري على الأراضي المحتلة وطريقة التعامل معها من قبل حكومات تعاقب عليها رجال دخلوا

إلى عالم السياسة عبر بوابة الديمقراطية وخرجوا منها بتركة إجرامية، لن تتوقف بمجرد فعل سياسي شخصي ولو كان مصدره دولة عظمى تأسست على الأسطورة الدينية المختلقة.

برغم القواسم المشتركة المتعددة بين تجربتي الهنود الحمر والشعب الفلسطيني، سواء في الدوافع الدينية وتفسيراتها الأيديولوجية الأحادية المسخرة لبلورة ثقافة الهيمنة والاستحواذ التي استهدفت وجودهما، إضافة إلى التشابه الكبير في التطبيقات العملية التي نالتهن عبر سنوات طويلة من التصفية الجسدية المنظمة والتهجير القسري للتمكين من أرضهم وفق مرئيات التفسير اللاهوتي لمفهوم أرض الميعاد في حالتيهما، فإن التجربة الفلسطينية نجحت في الإفلات من النتيجة المحتومة التي قضت تمامًا على المكون الهندي على الأراضي الأمريكية، وهذه الحقيقة تمثل استنتاجًا آخر في هذه الدراسة مصداقًا لثبوت الفرضية الثانية الثالثة فيها.

فعلى عكس سابقتها، لن تنتهي القصة في الحالة الفلسطينية مثلما انتهت حقبة الهنود الحمر بإخماد نيرانها وسحق رجالها، وإن استمرت المساعي الإسرائيلية المدعومة أمريكياً في هذا الاتجاه، ويكمن السبب الرئيس وراء ذلك في الموروث الحضاري العميق الذي يتمتع به الشعب الفلسطيني وامتداده المكاني والزمني الواسع في الوجدان الديني والعقائدي لدى عموم العرب والمسلمين، كما أن الانتفاضة الفلسطينية الحالية مستمدة بدورها من جذور دينية وثقافية قد تكون أشد قوة وصلابة من الأيديولوجية الصهيونية التي حاولت تهجين الديانتين اليهودية والمسيحية لموازاتها وتوسيع المدى العقائدي لتبرير حق السيطرة المطلق على الأرض الفلسطينية؛ ذلك أن العقيدة اليهودية المحدودة في عدد أتباعها وانتشارها بين الأمم الأخرى غير قادرة على فرض الغطاء الديني وحدها أمام العقيدة الإسلامية الساحقة.

كما يفتح هذا الاستنتاج الأخير الباب أمام تطبيقات فلسفة المدرسة الواقعية الجديدة في العلاقات الدولية، حيث نجحت مقتضيات توازن القوى، وفي مقدمتها الشراكة الإستراتيجية بين الولايات المتحدة وإسرائيل والقائمة على أسس عقائدية متشابهة في تفسير مفهوم التفوق العرقي والاستحواذ، في تعويض نواقص متطلبات الهيمنة على الأرض، ومن أهمها استمرار غلبة الميزان الديمغرافي لصالح الشعب الفلسطيني والمحيط الجغرافي الكبير الذي يحاصر الكيان الإسرائيلي ويبقيه كحالة شاذة في المنطقة، وأخيراً تمتع الفلسطينيون بحاضنة حضارية عملاقة في بعديها العربي والإسلامي؛ الأمر الذي وضع الأمن الوجودي لدولة إسرائيل في سُلّم أولويات السياسة الخارجية للولايات المتحدة وتعهداتها الدولية الثابتة منذ عام ١٩٤٨.

هناك ما يدعو للاعتقاد بأن المقاومة الحالية للشعوب العربية والإسلامية ستكون بداية لانتفاضة كبرى قادمة، قد تكون من داخل الأراضي الفلسطينية أو من خارجها أو من كليهما معاً، ومثل هذا التصور لا يستند إلى مثاليات أو آماني بعيدة عن الواقع، بل ينبع من حقيقة مفادها أن للقدس شأنًا خاصًا لدى المسلمين والعرب ولن يتمكن من كان من قطع أوصال هذه العلاقة الخاصة.

ولذلك، فإن تفاقم الأحداث في القدس والأرض المحتلة بالصورة المتراكمة التي نشهدها ستؤدي إلى تحريك الشعوب المعنية التي لم تتحرك حكوماتها، ولن ينتهي هذا المشهد بالأحداث التي تمر بها فلسطين، بل إن المراقب اليقظ يرى بداية انتفاضة أخرى تتفاعل في الشارع العربي والإسلامي جرّاء تراكمات الأولى، فسجل التاريخ الحديث حافل بالأمثلة على التداعيات السريعة والمتفاقمة باتجاه تطورات عالمية كبرى لأحداث فردية أو جزئية، حيث أدى اغتيال شخصية واحدة إلى تشغيل محركات الحرب العالمية الأولى كما تسبّب

هجوم اليابانيين على بيرل هاربر بدخول الشعب الأمريكي وحكومته في الحرب العظمى فحققوا نصراً كونياً لم يسبق له مثيل.

ومن الأمثلة الحديثة على ذلك تفجّر أمواج الربيع العربي بكل تركته السياسية والأمنية وأبعاده الدولية المستمرة إلى اليوم بعد قيام الشاب التونسي محمد البوعزيزي بحرق نفسه كاحتجاج وطني، فهكذا يتحرك التاريخ من حدث إلى آخر، ومن الحرب قد تولد حروب أو استقرار، وكل ذلك في النهاية يعتمد على حركة وصيرورة الفواعل الرئيسة في المعترك السياسي بشقّه المحلي والخارجي.

وأخيراً وليس آخراً، يتعين الإشارة إلى المفكر اليهودي بنيامين وولتر (Benjamin Walter) (١٨٩٢-١٩٤٠) وما ساقه في كتابه بعنوان: (أطروحات حول مفهوم التاريخ) بعدما عانى المرّين من تصاعد النازية في أيامه فانتحر يائساً من عبور حدود ألمانيا، فكتب حول مفهوم الدولة الاستثنائية التي تقوم إستراتيجياتها على فكر الكارثة الذي يُعدّ من أدبيات الفكر اليهود - المسيحي (بو منير، ٢٠١٣، ص. ٢٨-٣٠).

والدولة الاستثنائية بحسب رأي وولتر هي التي تقاوم إحداثيات قانون الزمن الطبيعية للوصول إلى الثبات والتقدم بواسطة أدوات تعسفية واستعلائية قد تتضارب مع ما هو مقبول إنسانياً. ولكي يدلل على نظريته؛ درس الباحث النازية وصعودها فوجد أن هتلر أراد أن يقيم دولة استثنائية قائمة على القهر والتوسع والعنصرية ضد الآخر (Horton, 2010)، وحينذاك لم يخطر على بال أحد أن انحدار ألمانيا سوف يبدأ من إيمانها بالاستثنائية، إلا بنيامين وولتر الذي لم يشهد الأحداث الدراماتيكية التي عقت تاريخ وفاته في عام ١٩٤٠، لكنه تنبأ بها في أوج قمة البهجة والعنفوان لحكومة هتلر وانتصاراته في المسرحين السياسي والعسكري.

خلال عمره القصير زمنياً، يريد الكيان الصَّهْيُونِيّ أن يكرّر بناء الدولة الاستثنائية القائمة على الأسطورة والمستندة إلى مفهوم الكارثة التي تبرر من خلالها القتل والاحتلال والضم والاغتيال وهدم البيوت وتهجير الناس والانحراف بالقانون دون محاسبة، وعلى أساس أن تكون دولتها مستثناءة من القاعدة التي تعارفت عليها الأمم، ولكن ذلك لن يدوم بفعل نحتها لذاتها مع مرور الوقت، فلا غرابة إذن أن يكون تآكل الكيان الصَّهْيُونِيّ منطلقاً من الداخل إلى الخارج وليس العكس، بل إنَّ فعل العوامل الخارجية سيكون لاحقاً على مآسي الدّاخل التي تقوم بها الصَّهْيُونِيَّة بالأراضي المحتلة.

إنَّ المشهد القائم قبل أربعمئة سنة في تجربة الهنود الحمر، وإن تشابهت منطلقاته الفلسفية وتطبيقاته العملية، بات يختلف تماماً في عصر العولمة وتفصيلها المركّبة والمتداخلة والمرتبطة بشبكة كونية من التكنولوجيا الرقمية ووسائل الإعلام والتواصل البشريّ المعقد والمحاطة بكم هائل من المنظمات الأممية والأعراف الإنسانية الدولية والكيانات غير الحكومية النشطة عبر العالم، ويفترض أن تضع استحقاقات ذلك المزيد من القيود على معاودة إنجاز كامل لتجربة إبادة جماعية أخرى، وإن تمَّ بصمّت وبمعزل عن المشهد العالمي القائم رغم محدودية تأثيرها المباشر.

إنَّ الهيمنة الصَّهْيُونِيَّة بأسلوبها الحالي وبتأييد من الدولة العظمى تشبه إدخال جسم كبير في ممر ضيق لا يحتمل سوى إحدى نتيجتين: فإمّا أن يتم توسعة الطريق ليستوعب أفعال الاستثناء ضمناً لاستمرار التحكم والسيطرة ومستلزماتها من القتل بشكل مجرّد من الإنسانية وتحويل المستهدفين إلى رقيق بعيداً عن إدراك الأبعاد الثقافية والدينية والسياسية الكامنة، وهو أمر خيالي لا يستقيم مع سنن التاريخ، أو أن يتمّ إقحام هذا الجسم بالمرّ الخشن الذي سينحته مع مرور الزمن ليتصاغر تدريجياً حتّى يتلاشى تماماً، وهكذا

تتتابع الأحداث بالمنطقة فمن الصغير ينبثق الكبير ومن الانتفاضة الصغرى تستتعل يومًا الانتفاضة الكبرى، وقد يكون هذا السيناريو أملًا للبعض أو مدعاة للسخرية لدى البعض الآخر، لكنه بالتأكيد ينم عن إدراك لحتمية التاريخ لمن له بصيرة بواقع الأمم والنحل، كونها أحداثًا مرت بها كل من ألمانيا العظمى وروسيا البلشفية في العصر الحديث، كما طُويت صفحاتها في قدم التاريخ مثل عاد وإرم ذات العماد وثمرود الذين جابوا الصخر بالواد وفرعون ذي الأوتاد، وغيرهم في الغابرين الذين ما لبثوا أن تحوّلوا إلى ركام لم ينعه إلا العتاة والطفاة والبغاة ممّن حوّلوا أفراحهم إلى أتراح، بيد أن مآثم المظلومين والمسحوقين لا بد أن تتحوّل إلى مسرّات يومًا، ذلك أن للتاريخ حكمَةً وليس فيه استثناءات.

المراجع

المراجع العربية:

- إبراهيم، نيرمين (٢٠٠٨). صعود النازية: ألمانيا بين الحربين العالميتين (سياسيًا اجتماعيًا اقتصاديًا). دمشق: دار صفحات للدراسات والنشر.
- أبو ستة، إبراهيم (٢٠٠٤). اللاجئون الفلسطينيون بين التوطين والعودة. استرجعت في تاريخ ٠٤ يناير، ٢٠١٩ من قناة الجزيرة
<https://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/44c30c98-76c4-443f-a158-18a615f0a214>.
- أبو علم، عبد الله محمد (2014). قالوا ... من فمك أدينك يا إسرائيل (الجزء الأول). عمان: دار الفلاح للنشر والتوزيع.
- بالانديه، جورج (٢٠٠٧). الأنثروبولوجيا السياسية (علي المصري، مترجم)، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
- بو منير، كمال (٢٠١٣، يونيو). فلسفة التاريخ في الأفق النقدي لفلتر بنيامين. الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية (جامعة الجزائر)، ١٠، ٢٨-٣٢.
- جوهر، حسن والعزي، غسان (٢٠١٩، يناير). التأثير المتبادل بين بنية النظام الدولي وسياسات القوى العظمى: إدارة الرئيس جورج بوش الابن نموذجًا. مجلة كلية الآداب: الإنسانيات والعلوم الاجتماعية (جامعة القاهرة)، ٧٩(١)، ١٠١-١٦٩.
- حداد، يوسف (٢٠٠٤). هل لليهود حق ديني أو تاريخي في فلسطين (المجلد ١). بيروت: بيسان للنشر والتوزيع والإعلام.
- الحسن، يوسف (١٩٩٠). البعد الديني في السياسة الأمريكية تجاه الصراع العربي الصهيوني دراسة في الحركة المسيحية الأصولية: دراسة في الحركة المسيحية الأصولية الأمريكية (ط. ١). بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- حمدان، جمال (١٩٦٧). اليهود أنثروبولوجيًا. القاهرة: مؤسسة دار الهلال.
- خليفة، أحمد، عايد، خالد، شوفاني، إلياس، عبد الهادي، فوز، غانم، أسعد، قهوجي، رياض، وآخرون. (٢٠٠٤). إسرائيل ... دليل عام ٢٠٠٤. بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.

- خليل، نبيل (٢٠٠٦). *أمريكا بين الهند والعرب*. بيروت: دار الفارابي.
- داود، سليمان داود (٢٠١٣)، أكتوبر (٠٣). *المذابح الإسرائيلية في فلسطين*. استرجعت في تاريخ ٠٢ يناير، ٢٠١٩ من (قناة الجزيرة <https://www.aljazeera.net/specialfiles/pages/185c0c9b-8c24-4b14-b62a-ae88c42bc9e0>).
- الدبش، محمد (٢٠١٧)، ديسمبر (١٧). *ترمب وأسطورة مدينة على جبل*. استرجعت في تاريخ ٢٦ ديسمبر، ٢٠١٨ من (قناة الجزيرة <https://blogs.aljazeera.net/blogs/2017/12/17/>).
- الدعجة، هابل (٢٠١٨). *القرارات الدولية بشأن القدس*. استرجعت في تاريخ ٠٦ مايو، ٢٠١٩ من (صحيفة عمون الإلكترونية <https://www.ammonnews.net/article/349033>).
- زكاء الله، محمد عارف (٢٠٠٧). *الدين والسياسة في أمريكا: صعود المسيحيين الإنجيليين وأثرهم* (أمل عيتاني، مترجم)، بيروت: مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات.
- سليمان، ميخائيل (١٩٨٧). *صورة العرب في عقول الأمريكيين*. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.
- السهلي، نبيل (٢٠٠٤). *فلسطين... أرض وشعب: منذ مؤتمر بال وحتى ٢٠٠٢*. دمشق: اتحاد الكتّاب العرب.
- سيراكوسا، جوزيف (٢٠١٥). *الدبلوماسية (كوثر محمود محمد، مترجم)*، القاهرة: دار الشروق.
- الشاتري، فوشيه (٢٠٠١). *الاستيطان الصليبي في فلسطين* (قاسم عبده قاسم، مترجم)، القاهرة: دار الشروق.
- شاهين، أحمد لطفي (٢٠١٦)، مارس (١٦). *دور القوانين الإسرائيلية في مصادرة الأراضي الفلسطينية*. استرجعت في تاريخ ٠٤ يناير، ٢٠١٩ من (دنيا الوطن <https://pulpit.alwatanvoice.com/articles/2016/03/16/397459.html>).
- شكري، محمد فؤاد (٢٠١٧). *ألمانيا النازية: دراسة في التاريخ الأوروبي المعاصر*. القاهرة: مؤسسة هنداي سي أي سي.

- شو، مارتن (٢٠١٧). الإبادة الجماعية: مفهومها، جذورها وتطورها وأين حدثت؟ (محيي الدين حميدي، مترجم)، الرياض: العبيكان للنشر.
- صالح، أماني (٢٠١٠، ديسمبر). الأمة كمستوى للتحليل في العلاقات الدولية. مجلة المسلم المعاصر، ١٣٧-١٣٨، ١٠٥-١٥٨.
- عزام، إسماعيل (٢٠١٤). أشهر مجازر إسرائيل ... عقود التقتيل المستمر لأبناء فلسطين. استُرْجعت في تاريخ ٠٣ يناير، ٢٠١٩ من (هسبريس <https://m.hespress.com/international/236494.html>).
- العكش، منير (2002). أمريكا والإبادة الجماعية: حق التصحية بالآخر. لندن: دار رياض الرئيس للكتب والنشر.
- العكش، منير (٢٠٠٩). أمريكا والإبادة الثقافية: لعنة كنعان الإنجليزية. لندن: دار رياض الرئيس للكتب والنشر.
- العكش، منير (٢٠١٢). أمريكا والإبادة الجنسية. لندن: دار رياض الرئيس للكتب والنشر.
- العكش، منير (٢٠١٥). دولة فلسطينية للهنود الحمر. لندن: دار رياض الرئيس للكتب والنشر.
- عناب، محمد رشيد (٢٠٠١). الاستيطان الصهيوني في القدس: ١٩٦٧-١٩٩٣. فلسطين: بيت المقدس للنشر والتوزيع.
- فولك، ريشارد (٢٠١٤). تقرير المقرر الخاص المعني بحالة حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧، مجلس حقوق الإنسان، الدورة الخامسة والعشرون، البند ٧ من جدول الأعمال: حالة حقوق الإنسان في فلسطين والأراضي العربية المحتلة. استُرْجعت في تاريخ ٠٤ يناير، ٢٠١٩ من (https://reliefweb.int/sites/reliefweb.int/files/resources/A-HRC-25-67_ar.pdf).
- فيشباخ، مايكل (٢٠١٣). سجلات السلب: أملاك اللاجئين الفلسطينيين والصراع العربي-الإسرائيلي (سميح حمودة، مترجم)، بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- منظمة حقوق الإنسان (٢٠١٨). التقرير العالمي ٢٠١٨، إسرائيل وفلسطين: أحداث ٢٠١٧. استُرْجعت في تاريخ ٠٣ يناير، ٢٠١٩ من (<https://www.hrw.org/ar/world-report/2018/country-chapters/313128>).

- موقع المعرفة الإلكتروني (٢٠١٥). ديموغرافيا فلسطين. استُرجعت في تاريخ ٢٥ يوليو، ٢٠١٩ من (<https://www.marefa.org>).
- موقع صحيفة البيان الإماراتية الإلكتروني (٢٠٠٠، نوفمبر ٢٥). درس وتحذير من رؤساء أمريكا السابقين من النفوذ اليهودي. استُرجعت في تاريخ ٢٥ يوليو، ٢٠١٩ من (<https://www.albayan.ae/opinions/2000-11-25-1.1098022>).
- موقع عرب ٤٨ الإلكتروني (٢٠١٦، نوفمبر ٠٨). تاريخ رؤساء أميركا ... السياسة تدوس حقوق الإنسان. استُرجعت في تاريخ ٢٥ يوليو، ٢٠١٩ من (<https://www.arab48.com>).
- ويبيسونو، ماكاري (٢٠١٥). تقرير المقرر الخاص المعني بحالة حقوق الإنسان في الأراضي الفلسطينية المحتلة منذ عام ١٩٦٧، مجلس حقوق الإنسان، الدورة الخامسة والعشرون، البند ٧ من جدول الأعمال: حالة حقوق الإنسان في فلسطين والأراضي العربية المحتلة. استُرجعت في تاريخ ٠٤ يناير، ٢٠١٩ من (<https://www.refworld-.org/cgi-bin/texis/vtx/rwmain/opendocpdf.pdf?reldoc=y&docid=54febaf74>).

المراجع الأجنبية:

- Abruzzi, W. (2003). *Colonization and Resistance in North America and Palestine: Similar Historical Processes*. Retrieved February 18th, 2019 from (http://www.drabruzzo.com/iindians_and_palestinian.htm).
- Abu El-Haj, N. (2012). *The Genealogical Science: The Search for Jewish Origins and the Politics of Epistemology*. Chicago: University of Chicago Press.
- Adams, C. (1877). *Memories of John Quincy Adams, Comprising Portion of His Diary From 1795 to 1848* (Vol. 7). Philadelphia: J. B. Lippincot & Co.
- Bellerose, R. (2014, January, 11). *Don't Mix Indigenous Fight With Palestinian Rights*. Retrieved February 18th, 2019 from Indian Country Today (<https://newsmaven.io/indiancountrytoday/archive/don-t-mix-indigenous-fight-with-palestinian-rights-ZW7cD8KF9kWxOkWNjsnRIQ>).
- Brown, D. (1972). *Bury My Heart At Wounded Knee: An American History Of The American West*. New York: Bantam Book.
- Buck, S. (2016, November, 09). *These Native Americans Were Murdered Just for Dancing*. Retrieved October 09th, 2018 from Soulbelly, multimedia keepsakes for preserving community history (<https://timeline.com/ghost-dance-wounded-knee-71926e23cf3b>).
- Campbell, J. (2016). *Morning in South Africa*. New York: Rowman & Littlefield Publishers.

- Carbaugh, J. (2017, April 26). *The Indian Removal Act: A Legal Deception*. Retrieved November 22th, 2018 from USFSP Honors Program Theses (<https://digital.usfsp.edu/cgi/viewcontent.cgi?article=1188&context=honorsthesis>).
- Churchill, W. & Morris, G. (1992). Key Indian Laws and Cases. In M. Annette Jaimes (Ed.), *The State of Native American: Genocide, Colonization, and Resistance* (pp. 13-21). Boston, MA: South End Press.
- Churchill, W. & Wall, J. V. (1997). *A Little Matter of Genocide: Holocaust and Denial in Americans, 1492 to the Present*. San Francisco: City Lights Bookstore.
- Cole, C. (1992). *Lion of the Forest: James Finley*. Lexington, KY: The University Press of Kentucky.
- DeFelice, B. (2015). Indian Treaties: A Bibliography. *Law Library Journal*, 107 (2), 241-258.
- Deloria, V. (1985). *Behind the Trial of Broken Treaties: An Indian Declaration of Independence*. Austin: University of Texas Press.
- Deloria, V. (1992). Trouble in High Places: Erosion of American Indian Rights to Religious Freedom in the United States. In M. Annette Jaimes (Ed.), *The State of Native American: Genocide, Colonization, and Resistance* (pp. 267-290). Boston, MA: South End Press.
- Dippie, B. (1982). *The Vanishing American: White Attitudes and U.S. Indian Policy*. Lawrence, KS: University Press of Kansas.

- Dunbar-Ortiz, R. (2004). The Grid of History, Cowboys and Indians. In John Bellamy Foster & Robert McChesney (Eds.), *Pox Americana* (pp. 31-47). London: Pluto Press.
- Entine, J. (2012). *DNA Links Prove Jews Are a 'Race,' Says Genetics Expert*. Retrieved January 08th, 2019 from Haaretz (<https://www.haaretz.com/jewish/dna-links-prove-jews-are-a-race-says-genetics-expert-1.5220113>).
- Finkelman, P. & Garrison, T. A. (2008). *Encyclopaedia of United States Indian Policy and Law*. Thousand Oaks, CA: Sage Publications.
- Fixico, D. (2017). *A Native Nations Perspective on the War of 1812*. Retrieved August 22th, 2018 from (<http://www.piquashawnee.com/apps/blog/show/44751355-a-native-nations-perspective-on-the-war-of-1812-pbs-org>).
- Gobineau, A. (1915). *The Inequality of Human Races*. London: William Heinemann.
- Horton, S. (2010). *Benjamin-History and the State of Exception*. Retrieved January 08th, 2019 from Harpers Magazine (<https://harpers.org/blog/2010/05/benjamin-history-and-the-state-of-exception/>).
- Huntington, S. (1993, Summer). The Clash of Civilizations? *Foreign Affairs*, 72 (3), 22-49.
- Jahoda, G. (1975). *The Trail of Tears: The Story of the American Indian Removal 1813-1855*. New York: Wings Books.
- Jaimes, M. A. (1992). Sand Creek: The Morning After. In M. Annette Jaimes (Ed.), *The State of Native American: Genocide, Colonization, and Resistance* (pp. 1-12). Boston, MA: South End Press.

- Josephy, A. (1995). *500 Nations: An Illustrated History of North America Indians*. London: Hutchinson and Pimilco.
- Levy, G. (2019, January 06). *79 Percent of Right-wingers Believe Jews Are the Chosen People. Are You for Real?* Retrieved February 08th, 2019 from Haaretz (<https://www.haaretz.com/opinion/.premium-79-percent-of-right-wingers-believe-jews-are-the-chosen-people-are-you-for-real-1.6471893>).
- Mearsheimer, J. & Walt, S. (2008). *The Israel Lobby and U.S. Foreign Policy*. London: Penguin Books.
- Mohawk, J. (1992). Looking for Columbus: Thoughts on the Past, Present and Future of Humanity. In M. Annette Jaimes (Ed.), *The State of Native American: Genocide, Colonization, and Resistance* (pp. 439-444). Boston, MA: South End Press.
- Morton, S. G. (1839). *Comparative View of the Skulls of Various Aboriginal Nations of North and South America*. Philadelphia: J. Dobson.
- O'Brien, S. (1993). *American Indian Tribal Governments*. Norman, OK: University of Oklahoma press.
- Ostrer, H. (2012). *Legacy: A Genetic History of the Jewish People*. Oxford: Oxford University Press.
- Pergola, S. D. (2001, August). *Demography in Israel/Palestine: Trends, Prospects, Policy Implications*. Presented at IUSSP XXIV General Population Conference (S64) on Population Change and Political Transitions, Salvador de Bahia, Brazil.

- Prucha, F. (1997). *American Indian Treaties: The History Of Political Anomaly*. Berkeley and Los Angeles: University of California Press.
- Rabinovich, I & Reinharz, J. (Ed.). (2008). *Israel in the Middle East: Documents and Readings on Society, Politics, and Foreign Relations, Pre-1948 to the Present*. Waltham, MA: Brandeis University Press.
- Rubin, R. (2013). 'Jews a Race' Genetic Theory Comes Under Fierce Attack By DNA Expert. Retrieved January 08th, 2019 from (<https://forward.com/news/israel/175912/jews-a-race-genetic-theory-comes-under-fierce-atta/>).
- Russell, T. (1987). *American Indian Holocaust and Survival: A Population History Since 1492*. Norman, OK: University of Oklahoma press.
- Salaita, S. (2008). The Ethics of Intercultural Approaches to Indigenous Studies: Conjoining Natives and Palestinians in Context. *International Journal of Critical Indigenous Studies*, 1 (1), 2-12.
- Salaita, S. (2016). *Inter/Nationalism: Decolonizing Native America and Palestine*. Minneapolis: University of Minnesota Press.
- Salaita, S. (2017). American Indian Studies and Palestine Solidarity: The Importance of Impetuous Definitions. *Decolonization: Indignity, Education & Society*, 6 (1), 1-28.
- Sha'aban, F. (1991). *Islam and the Arab in Early American Thought: The Roots of Orientalism in America*. Durham, NC: The Acorn Press.
- Singer, J. D. (1961, October). The Level-of-Analysis Problem in International Relations. *World Politics*, 14 (1), 77-92.

- Skelton, W. (1976, July). Army Officers' Attitudes Toward Indians, 1830-1860. *North West Quarterly*, 67 (3), 113-124.
- Soltani, F., Naji, S. Amiri, R. E. (2014). Levels of Analysis in International Relations and Regional Security Complex Theory. *Journal of Public Administration and Governance*, 4 (4), 166-171.
- Spirling, A. (2011, December). US Treaty Making with American Indians: Institutional Change and Relative Power, 1784–1911. *American Journal of Political Science*, 56 (1), 84-97.
- Starkey, A. (1998). *European And Native American Warfare 1675-1815*. Norman, OK: University of Oklahoma press.
- Stiffarm, L. & Lane Jr., P. (1992). The Demography of Native North America: A Question of American Indian Survival. In M. Annette Jaimes (Ed.), *The State of Native American: Genocide, Colonization, and Resistance* (pp. 23-54). Boston, MA: South End Press.
- The Institute for Government Research, Washington, D.C. (1928). *The Problem of Indian Administration: Report of a Survey made at the request of Honorable Hubert Work, Secretary of the Interior, and submitted to him, February 21, 1928*. Baltimore, MD: The Johns Hopkins Press.
- Thornton, R. (1987). *American Indian Holocaust and Survival: A Population History Since 1492*. Norman, OK: University of Oklahoma press.
- Thornton, R. (2005, Fall-Winter). Native American Demographic and Tribal Survival into the Twenty-first Century. *American Studies*, 46 (3/4), 23-38.

- Vecsey, C. (1986). *Traditional Ojibwa Religion and Its Historical Changes*. Philadelphia: The American Philosophical Society.
- Waltz, K. (1959). *Man, the State, and War*. New York: Colombia University press.
- Waltz, K. (1979). *Theory of International Politics*. New York: Random House.

Palestinians and Native Americans: A Cross Temporal and Spatial Study of International Genocide

Abstract:

The purpose of this study is to conduct an analytical comparison between the genocide experience against Native American Communities and Arab people of Palestine in terms of Political Analogy, namely the political similarity across spatial and time in the two cases. The study focused on the common Judeo-Christian theological interpretation of "Promised Land" as an intellectual, religious and historical thrust for complete hegemonic expansion and acquisitions. The philosophy of full domination has justified various soft as well as coarse coercive tools and approaches, including physical liquidation, forced displacement, controlling territory and enforcing demographic change. More importantly, genocide implementations have aimed at the abolition of the heritage and cultural legacies of the indigenous existing component. The study found out a set of commonalities between the cases of genocide of the Native Americans and the Palestinian people in the theoretical and cultural perspective. In addition, despite the temporal and geographical gaps between the two experiments, both sides were exposed to similar attempts to legitimize their occupation, systematic murder and forced deportation through a wide range of institutional legislation and jurisprudence coated with democracy, human rights and the independence of the judiciary. The study concluded by extracting a deductive scientific explanation from the extrapolation of similar events in both cases in accordance with the super-national strategic entanglement within the framework of the power theory as presented by the realist school in international relations.

Key Words: Genocide, Native Americans, Palestinian Crisis, Political Anthropology, Power Theory in International Relations.

Author:**Dr. Abdullah Yousef Sahar Mohammad**

- PhD in Political Science, general major in International Relations, specified major in International Organization. University of Kentucky, State of Kentucky, USA, 1994.
- The Role of Transnational and Non-Governmental Organizations on The Hegemonic Contest Between Egypt, Saudi Arabia and Iran.

Publications:

- 1 - Yemeni Unification from Dream to Nightmare: Failure of the Elites Approach. The Korean Journal of Area Studies. Volume 8. (1994) P.P. 61-74.
- 2 - Lessons from the Gulf War for the United Nations. The Center of Studies. Volume 1. (1996) P.P. 315-382. The Gulf and Arab Peninsula.
- 3 - The Gulf and the Global Attempts to Control Oil Resources. International Policies Journal. (1998), Issue 133, P.P. 8-50.
- 4 - Iran Foreign Policy: Decision Making Analysis. (1999), Issue 138, P.P. 8-32.
- 5 - Study on Kuwait University Students Trends towards Restoring Relations with Counter Countries "A Field Study". Almostaqbal Alarabi. (1999/7), Issue 245, P.P. 8-32.
- 6 - Orientalism Institutions and Western Policy towards Arabs and Muslims: Strategic Studies. Emirates Center for Strategic Studies and Researches, Abu Dhabi. (2001), Issue 57.
- 7 - The Internationalization of Islamic Threat to the New World Order: A Revised Image. The American Journal of Islamic Social Sciences. (2002), No. (1).
- 8 - Peace between Arabs and Israel: the Second Dimension of the Opposing Opinion. International Policy Journal. (2002). Issue 150, P.P. 22-45.
- 9 - Roots of Terrorism in the Middle East: Internal Pressure and International Constraints. Published in the book: International Constraints. (2005). In Root Causes of Terrorism: Myths, Reality and Ways Forward, edited by Tore Bjargo.
- 10 - Security and Foreign Intervention in Middle East. (Study International Relations Development). International Policy Journal. (2005), Issue 160, P.P 8-17.
- 11 - Motives of the American Military Intervention in Iraq. International Policy. (2007), Issue 170, P.P. 24-33.
- 12 - Globalization Dialectics and the End of the History Philosophy: Prospective Study on the International Political Economics Relations in Post-New World Order Phase. Social Science Journal. (2009) Issue 1, Volume 37.
- 13 - Energy Security in the Arab World in Facing Global Environment Change. Edited by Hans Gunter Brauch. Springer: Berlin – Heidelberg – New York. (2009), chapter 29.
- 14 - Tools and Methods of Settlement of Disputes inside the European Union in Comparison with GCC and the Arab League. Periodicals of Arts Collage, University of Kuwait. (2010), thesis 316.
- 15 - Conceptualization the Dialogue among civilizations: Towards an Effective Dialogue. (Autumn, 2007) Journal of Strategic studies, Vol. 3, No. 8, p.p: 9- 28
- 16 - 16. An Assessment of the Record of the Japan-Muslim World Dialogue among Civilizations and its Future Implications, Asian Journal of Political Science, (2015) Vol. 24, Issue 3, 201, P.P
- 17 - 17. Kuwait National Security: A Comprehensive perspective on the light of internal and international changes. Periodicals of Arts Collage, University of Kuwait. (2018), thesis 496.

Author:**Dr. Hasan A. Johar**

- PhD in Political Science (1989), Florida State University
- Associate Professor, Department of Political science, Kuwait University

Publications:**A. Arabic Papers:**

- 1 - "Generation and Democratic Transition in the GCC: A Prospective Study of the Demographic Changes", Annals of the Arts and Social Sciences, (Kuwait University), Volume 40, Monograph 531, September 2019.
- 2 - "Intellectual Security in the Arabian Gulf Countries: Problems, Impacts and Promoting Strategies", Journal of The Gulf and Arabian Peninsula Studies (Kuwait University), Volume 45, Number 174, July 2019 (pp. 21-64).
- 3 - "Reciprocal Influence Between Superpowers' Policies and the International System Structure: The Model of President George W. Bush Administration", Bulletin of Faculty of Arts: Humanities and Social Sciences (Cairo University), Volume 79, Number 1, January 2019 (pp. 101-169).
- 4 - "The Impact of Soft Diplomacy on Promoting Kuwaiti-Chinese Relations: An Empirical Study of the Trends of a Sample of Kuwaiti Society", Journal of Social Sciences (Kuwait University), Volume 46, Number 3, 2018 (pp. 66-112).
- 5 - "Evaluation of the Parliamentary Experience of Kuwaiti Women (2006-2016): A Field Survey", Annals of the Arts and Social Sciences (Kuwait University), Volume 39, Monograph 516, March 2019.
- 6 - "Oil and Hegemony in the Gulf: A Forecasting Study on International Relations in the Region", Journal of International Politics (Cairo), No. 133, July 1998 (pp. 8-50).

B. English Papers:

- 1 - "Social Media and the Spiral of Silence: The Case of Kuwaiti Female Students Political Discourse on Twitter". Journal of International Women's Studies (Bridgewater State University), Vol. 16, No. 3, July, 2015 (pp. 42-53).
- 2 - "The National Sovereign Rights and International Law". Journal of Middle Eastern Geopolitics (Italy), Vol. I, No. 2, December, 2005 (pp. 325-382).
- 3 - "New Dimensions of Future Security in the Gulf", Journal of Social, Political and Economic Studies, Vol. 22, No. 3, Fall 1997 (pp. 267-294).
- 4 - "Political Islam and the West: American and European Response". Iranian Journal of International Affairs, Vol. III, No. 1, Spring 1996 (pp. 97-119).
- 5 - "Oil and Democracy: The American Dilemma in the Gulf Region". Journal of South Asian and Middle Eastern Studies (USA), Vol. XIX, No. 1, Fall 1995 (pp. 57-71).

Monograph 546

Palestinians and Native Americans: A Cross Temporal and Spatial Study of International Genocide

Abdullah Y. S. Mohammad

Hasan A. A. Johar

Department of Political Sciences, Kuwait University

عزيزي القارئ:

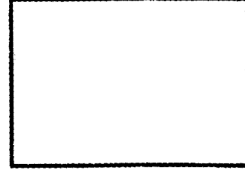
يسر أسرة تحرير حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية أن ترحب بكم وتتقدم لكم بأطيب التحيات، شاكرين لكم سلفاً تعاونكم من أجل تطوير الحوليات؛ وذلك من خلال إجاباتكم عن هذه الأسئلة:

- ١ - العمر: سنة
- ٢ - الجنس: ☐ ذكر ☐ أنثى
- ٣ - بلد الإقامة: ☐ الكويت ☐ خارج الكويت (انكر)
- ٤ - التعليم:
- ثانوي ☐ جامعي ☐ ماجستير ☐ دكتوراه ☐
- ٥ - طبيعة المهنة:
- أكاديمي ☐ إداري ☐ مهني ☐ أخرى (وانكرها) ... ☐
- ٦ - مواضيعك المفضلة:
- أدبية ولغوية ☐ سياسية ☐ اجتماعية ونفسية ☐
- تاريخية ☐ ثقافية ☐ أخرى (وانكرها) ... ☐
- ٧ - كيف تحصل على الحوليات؟
- شراء ☐ اشتراكاً ☐ استعارة ☐
- ٨ - هل تصلك الحوليات في الوقت المناسب؟ ☐ نعم ☐ لا
- ٩ - رأيك في حجم الحوليات؟
- كبير ☐ متوسط ☐ صغير ☐
- ١٠ - كيف ترى موضوعات الحوليات؟
- متنوعة ☐ غير متنوعة ☐
- ١١ - ما الطابع العام للحوليات من وجهة نظرك؟
- لغوي ☐ اجتماعي ☐ تاريخي ☐ جغرافي ☐ متنوع ☐
- ١٢ - هل تقرأ الحوليات بانتظام؟ ☐ نعم ☐ لا
- ١٣ - هل تقرأ الحوليات فقط إذا كان موضوعها له علاقة بتخصصك؟ ☐ نعم ☐ لا
- ١٤ - هل تقرأ الحوليات فقط إذا كنت ستستعين بمادتها كمرجع لبحث؟ ☐ نعم ☐ لا
- ١٥ - هل تحتفظ بالحوليات بعد قراءتها؟ ☐ نعم ☐ لا
- ١٦ - اقتراحاتك لتطوير الحوليات وتطوير خدماتها للقارئ:

.....

.....

.....



حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية
مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت
ص.ب: 17370 الخالدية
الكويت 72454
دولة الكويت

البريد الجوي
BY AIR MAIL
PAR AVION

تحت رعاية كريمة من سمو ولي العهد الشيخ

وقف الأمانات العامة للأوقاف

تنظم الأمانة العامة للأوقاف بطولة الكويت

مسابقات الأمانات العامة للأوقاف
Kuwait International Contest on Waqf Researches

الدورة الحادية عشرة

(١٤٣٩ - ١٤٤٠هـ / ٢٠١٨ - ٢٠١٩م)

إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية



موضوعات المسابقة الحادية عشرة:

الموضوع الأول: الوقف ودوره في حفظ الاستثمارات للأجيال القادمة.

الموضوع الثاني: دور المؤسسات الوقفية (الكويتية - الأهلية) في العمل الإغاثي.

شروط التقديم لمسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف.

أولاً: الشروط العامة للمسابقة:

١. يجب للباحثين: الأفراد أو المجموعات أو المؤسسات العلمية المشاركة في المسابقة.

٢. تقدم الأبحاث بأحدى اللغات الثلاث (العربية، الإنجليزية، الفرنسية). بشرط أن يكون البحث مصحوباً بترجمة كاملة إلى العربية.

٣. ألا يقل البحث عن (٩٠) صفحة ولا يتجاوز (١٠٥) صفحات. ٤. الالتزام بشروط البحث العلمي مع مراعاة المنهج النقدي، ومناقشة وجهات النظر المختلفة حول موضوع البحث مع التوثيق العلمي للأراء وفقاً للقواعد المتعارف عليها.

٥. المعايير الأساسية لتحكيم الأبحاث هي: سلامة المنهج العلمي، وتسلسل الأفكار، ووضوح العرض، والقدرة على ربط النتائج بالمقدمات، وسلامة لغة البحث.

٦. يحق للأمانة العامة للأوقاف سحب أي من الجوائز إذا لم ترق الأبحاث المقدمة إلى المستوى المطلوب، وهي غير ملزمة برد الأبحاث التي تصلها سواء أكانت فائزة أم غير فائزة.

٧. يحق للأمانة العامة للأوقاف سحب الجائزة من الأبحاث الفائزة التي يتبين مخالفتها للقواعد العلمية.

٨. للأمانة العامة للأوقاف حق نشر الأبحاث الفائزة، والاستفادة منها بالطرق التي تراها ملائمة.

٩. الأبحاث التي تخالف الشروط السابقة لا تدخل تحكيم المسابقة.

١٠. لا يكون البحث قد سبق أن حصل على جائزة أخرى أو على شهادة علمية، وبحق للأمانة العامة للأوقاف سحب قيمة الجائزة، إذا اكتشفت أن البحث الفائز قد نشر سابقاً أو قدم إلى جهة أخرى لغرض آخر أو مستلماً من رسالة علمية.

١١. لا يحق لمن فاز في إحدى دورات المسابقة أن يشارك في الدورة التي تليها مباشرة.

١٢. لا يحق للناشرين نشر أبحاثهم الفائزة بأنفسهم أو التصرف فيها لغير إلا بموافقة خطية من الأمانة العامة للأوقاف.

١٣. تقدم الأبحاث مطبوعة على الكمبيوتر بحجم ورق A4 وفقاً للتخطيط، اعتمد الصفحة الذي هو على النحو الآتي:

أ - هوامش الصفحة:	- الفراغ أعلى وأسفل: ٥٤ مم.
	- الفراغ يمين ويسار: ٣ سم.
ب - الخط في المتن:	- نوعية الخط Traditional Arabic bold 16 لتكثيف.
	- حجم الخط 11
ج - الخط في الهامش المرجعي أسفل الصفحة:	- نوعية الخط Traditional Arabic 11
	- المسافة بين الأسطر single

٤- توثيق الجرائد:

إذا وردت الجريدة لأول مرة، فيذكر اسمها وعددها وتاريخها، ثم عنوان المقال واسم صاحبه ورقم الصفحة ورقم العمود (في غالب الأحيان). وإن وردت فيما بعد، فيتم إيراد اسمها وعددها مع عنوان المقال واسم صاحبه ووضع رمز (م.س) ثم رقم الصفحة والعمود، أو وضع رمز (م.ن) في مكان الرمز السابق إن ورد المرجع نفسه مرة ثانية مباشرة، مع إحداث التبديلات اللازمة في حالة اختلاف المقال والكتاب ورقم الصفحة.

٥- توثيق المواقع الإلكترونية:

إذا ورد الموقع الإلكتروني لأول مرة فيذكر عنوان البحث أو المقال أو غير ذلك، ثم اسم المؤلف، وعنوان الموقع الإلكتروني، ووقت أخذ المعلومة من الموقع (باليوم والساعة والدقيقة).

ثانياً: إجراءات التقديم للمسابقة:

١) الحصول على نسخة من الكتيب التعريفي لموضوعات المسابقة، وعناصرها الاسترشادية من خلال الموقع الإلكتروني للأمانة العامة للأوقاف:

<http://www.awqaf.org.kw>

٢) ترسل الأبحاث للأمانة العامة للأوقاف بديهة الكويت، مرفقاً بها نموذج الاشتراك والسيرة الذاتية على النحو الآتي:

أ- إلكترونيًا: على البريد الإلكتروني لإدارة الدراسات والعلاقات الخارجية:

serd@awqaf.org

ب- بريدياً: بإرسال نسخة ورقية مع قرص مضغوط على العنوان الآتي:

مسابقة الكويت الدولية لأبحاث الوقف

إدارة الدراسات والعلاقات الخارجية

الأمانة العامة للأوقاف

السمة: قطعة ٦ - شارع حمود الرقبة

ص ب ٤٨٢٢ الصفاة - ١٣٠٠٥ دولة الكويت.

٣) مزيد من المعلومات حول المسابقة يرجى الاتصال على هاتف:

(الرمز الدولي ٠٠٩٦٥)

٢٢٠٦٥٤٨ - ٢٢٠٦٥٤٨ - ٢٢٠٦٥٤٨

فاكس: ٢٢٥٢٥٢٦ (٠٠٩٦٥)

رابعاً، جوائز المسابقة:

تقدم جوائز نقدية قيمة للفائزين في كل موضوع على حدة.

١٤. يرفق مع البحث السيرة الذاتية لصاحبه + صورة شخصية. ١٥. تقدم أصول الأبحاث في موعد أقصاه ٢٧ رمضان ١٤٤٠هـ الموافق ٢٠١٩/٥/٢١م.

ثانياً، توثيق المصادر والإحالات المرجعية:

يتم توثيق الإحالات المرجعية وفق الآتي:

أ) الرموز المعتمدة:

اعتماد بعض الرموز في شأيا البحث، وهي:

[...] التي تدل على أن هناك كلاماً تم حذفه من النص الأصلي، [] التي تدل على أن الكلام الموجود بداخل المعقوفتين إنما هو إضافة من عند الباحث.

(م.س): في الهوامش وتعني: مرجعاً سابقاً.

(م.ن): في الهوامش وتعني: المرجع نفسه.

ب) توثيق المصادر والمراجع:

ويكون على النحو الآتي:

١- توثيق الكتب والكتيبات:

إذا وردت لأول مرة، فيسبتم ذكر عنوانها ومؤلفها، ودار النشر أو الطبع، ومكانها، وعدد الطبع، وسننها، ثم رقم الصفحة، وإذا وردت فيما بعد، فيتم ذكر اسم الكتاب، والمؤلف مع وضع رمز (م.س) ثم رقم الصفحة، أو وضع رمز (م.ن) ورقم الصفحة إذا ورد بعده مباشرة مرة ثانية في مكان الرمز السابق، وإن تكرر وروده بكثرة فيتم الاستغناء عن ذكر (م.س).

٢- توثيق النشرات:

إذا وردت للمرة الأولى، فيتم ذكر عنوانها، وتاريخ حدوثها، والرامي أو المنظم لها (إن وجد)، ثم عنوان البحث المقدم، واسم صاحبه، ورقم الصفحة، وإن كان قد تدخل أو تعقيباً فيذكر اسم صاحبه ورقم الصفحة، وفي حالة ورود الفتوة فيما بعد، فيذكر اسمها وعنوان الموضوع أو البحث مع اسم صاحبه ورقم الصفحة، وإن كان تدخل أو تعقيباً فاسم صاحبه بالإضافة لرقم الصفحة من دون تسليان وضع رمز (م.س) قبل رقم الصفحة أو وضع رمز (م.ن) إن ورد المرجع نفسه مباشرة مرة ثانية في مكان الرمز السابق.

٣- توثيق المجلات أو الدوريات:

إذا وردت للمرة الأولى، فيتم إيراد اسم المجلة أو الدورية وعددها وتاريخ صدورها، ثم عنوان الموضوع واسم صاحبه ورقم الصفحة. وإن وردت فيما بعد، فيذكر اسمها وعددها ثم عنوان الموضوع (وقد يتم اختصاره إذا كان طويلاً) واسم صاحبه، مع وضع رمز (م.س) ورقم الصفحة، أو وضع رمز (م.ن) إن ورد المرجع نفسه مباشرة مرة ثانية، وفي حالة ما إذا كان الموضوع مختلفاً فيتم ذكر عنوانه واسم صاحبه ثم رقم الصفحة.

إصدار شهري

« تصدر مؤقتاً كل ثلاثة أشهر »

نعنى بشؤون الأنظمة والمحاماة



أهداف المجلة :

- * طرح ومعالجة شتى قضايا العصر ذات الطابع الشرعي والقانوني مع التركيز على إبراز الفقه الإسلامي وتبيان تميزه وشموليته في معالجة تلك القضايا .
- * أن تكون ساحة إعلامية لنوعي الإختصاص الشرعي والقانوني يقدمون من خلالها البحوث والدراسات ، فضلاً عن التحقيقات الصحفية المتميزة ذات العلاقة .
- * نشر الوعي بأهمية المحاماة ، وحاجة الناس إليها والتأكيد على أن المحاماة علم ، وفن ، ورسالة .

دعوة للمشاركة :

- * يسر « المحامي » دعوتكم للمساهمة عبر صفحاتها في كل الشؤون الشرعية والقانونية من بحوث ودراسات ومقالات أو تحقيقات .
- * تقدم المجلة مكافأة عن المقالات والمواضيع التي تقبلها للنشر .

رئيس التحرير :

المحامي / طارق المزني

سكرتير التحرير :

حسين العسكر

مسؤول إشتراكات :

خالد يس

الهيئة الاستشارية :

فضيلة الشيخ / عبد الله البسام

فضيلة الشيخ / مصطفى الزرقا

فضيلة الشيخ / سعد البريك

سعادة الدكتور / سعود الدريب

سعادة الأستاذ / عبدالله السبهان

سعادة الدكتور / عبدالفتاح خضر

سعادة المستشار / أحمد منير فهمي

الاشتراكات: المملكة العربية السعودية : ١٠٠ ريال في السنة (للأفراد والمؤسسات)

الدول الأخرى : ٢٧ دولار أمريكي (للأفراد والمؤسسات)

تدفع الاشتراكات باسم المجلة ، بشيك مسحوب على أحد المصارف السعودية أو بتحويل مصرفي باسم رئيس التحرير : حساب رقم ٥٦٤٩/١ - شركة الراجحي المصرفية للاستثمار - الرياض - فرع الروضة .

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير : ص . ب ٦٨٧٤ الرياض (١١٤٥٢)

هاتف : ٤٦٥٢٧٢٥ (٩٦٦١) / فاكس : ٤٦١٣١٥٢ (٩٦٦١)

مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية



مجلة علمية فصلية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت
صدر العدد الأول منها في يناير عام 1975م

رئيس التحرير

أ. د. بنیان سعود تركي

ترحب المجلة بنشر البحوث والدراسات العلمية المتعلقة بشؤون
منطقة الخليج والجزيرة العربية في مختلف المجالات العلمية.

ومن أبوابها

- البحوث العربية.
- البحوث الإنجليزية.
- ملخصات الرسائل الجامعية.
- عرض الكتب ومراجعتها.
- البيبلوجرافيا العربية.
- البيبلوجرافيا الإنجليزية.
- (ماجستير - دكتوراه).
- التقارير : مؤتمرات - ندوات

الاشتراكات

ترسل قيمة الاشتراك مقدماً بشيك لأمر - جامعة الكويت
مسحوب على أحد المصارف الكويتية

داخل دولة الكويت : للأفراد : 3 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً
الدول العربية : للأفراد : 4 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً
الدول الغير عربية : للأفراد : 4 دنانير - للمؤسسات : 15 ديناراً

توجه جميع المراسلات باسم رئيس تحرير مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية

ص.ب. 17073 الخالدية - الرمز البريدي: 72451 الكويت

تلفون: 24984067 - 24984066 - 24833215 - فاكس: 24833705 +965

E-mail: jgaps@ku.edu.kw - jgaps.ku@gmail.com

<http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/jgaps>

تفهرس المجلة وملخصاتها ونصوصها في قواعد البيانات والمعلومات التالية:

EBSCO Publishing Products

دار المنظومة: www.mandumah.com

الرقم الدولي للمجلة: 0254 - 4288 ISSN

المجلة التربوية



مجلة فصلية، تخصصية، محكمة

تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير: أ.د. عبدالعزيز غانم الغانم

نُشِرَ:

البحوث التربوية المحكمة

مراجعات الكتب التربوية الحديثة

محاضر الحوار التربوي

التقارير عن المؤتمرات التربوية

وملخصات الرسائل الجامعية

❖ تقبل البحوث باللغتين العربية والإنجليزية.

❖ تنشر لأساتذة التربية والمختصين بها من مختلف الأقطار العربية والدول الأجنبية.

الاشتراكات:

في الكويت: ثلاثة دنائير للأفراد، وخمسة عشر ديناراً للمؤسسات.
في الدول العربية: أربعة دنائير للأفراد، وخمسة عشر ديناراً للمؤسسات.
في الدول الأجنبية: خمسة عشر دولاراً للأفراد، وستون دولاراً للمؤسسات.

توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس تحرير المجلة التربوية - مجلس النشر العلمي ص.ب. ١٣٤١١ كيفان - الرمز البريدي 71955
الكويت هاتف: ٢٤٨٤٦٨٤٣ (داخلي ٤٤٠٣ - ٤٤٠٩) - مباشر: ٢٤٨٤٧٩٦١ - فاكس: ٢٤٨٣٧٧٩٤

E-mail: joe@ku.edu.kw

مَجَلَّةُ الشَّرِيعَةِ وَالْأَسْأَلِ الْإِسْلَامِيِّ

فَصَلِيَّةٌ عِلْمِيَّةٌ مَحْكَمَةٌ تَصْدُرُ عَنْ مَجْلِسِ الشَّرْعِ الْعِلْمِيِّ بِجَامِعَةِ الْكُوَيْتِ
تُعْنَى بِالْبَحْثِ وَالدراساتِ الْإِسْلَامِيَّةِ

رئيس التحرير الأستاذ الدكتور : عبدالرزاق خليفة الشايحي

صدر العدد الأول في رجب ١٤٠٤هـ - أبريل ١٩٨٤م

- * تهدف إلى معالجة المشكلات المعاصرة والقضايا المستجدة من وجهة نظر الشريعة الإسلامية.
- * تشمل موضوعاتها معظم علوم الشريعة الإسلامية: من تفسير، وحديث، وفقه، واقتصاد وتربية إسلامية، إلى غير ذلك من تقارير عن المؤتمرات، ومراجعة كتب شرعية معاصرة، وفتاوي شرعية، وتعليقات على قضايا علمية.
- * تنوع الباحثون فيها، فكانوا من أعضاء هيئة التدريس في مختلف الجامعات والكليات الإسلامية على رقعة العالمين: العربي والإسلامي.
- * تخضع البحوث المقدمة للمجلة إلى عملية فحص وتحكيم حسب الضوابط التي التزمت بها المجلة، ويقوم بها كبار العلماء والمختصين في الشريعة الإسلامية، بهدف الارتقاء بالبحث العلمي الإسلامي الذي يخدم الأمة، ويعمل على رفعة شأنها، نسأل المولى عز وجل مزيداً من التقدم والازدهار.

جميع المراسلات توجه باسم رئيس التحرير

ص ب ١٧٤٣٣ الخالدية 72455 الكويت هاتف: ٢٤٨١٢٥٠٤ - ٢٤٩٨٤٧٢٣ فاكس: ٢٤٩٨٨٠٩٥ - ٢٤٨١٠٤٣٤

العنوان الإلكتروني: jsis@ku.edu.kw - الاشتراكات - هاتف: ٢٤٩٨٦٠٦١ - 1029 - 8908 issn:



alsharia_ku

<http://pubcouncil.kuniv.edu.kw/JSIS> عنوان المجلة على شبكة الإنترنت:

اعتماد المجلة في قاعدة بيانات اليونسكو Social and Human Sciences Documentation Center

في شبكة الإنترنت تحت الموقع www.unesco.org/general/eng/infoserv/db/dare.html

تتوفر نصوص البحوث كاملة لدى: دار المنظومة www.mandumah.com

تفهرس المجلة وملخصاتها ونصوصها في قواعد البيانات والمعلومات التالية: EBSCO Publishing Products



لجنة التأليف والتعريب والنشر



جامعة الكويت مجلس النشر العلمي

تشكلت لجنة التأليف والتعريب
والنشر - التابعة لمجلس النشر
العلمي بجامعة الكويت
في عام 1976.

* أهداف اللجنة:

- 1- توسيع دائرة النشر العلمي بمختلف التخصصات العلمية لأعضاء هيئة التدريس في جامعة الكويت.
- 2- إثراء المكتبة الكويتية بالكتب والمؤلفات العلمية والتخصصية والثقافية وكتب التراث الإسلامي باللغات العربية والأجنبية.
- 3- دعم وتنشيط عملية التعريب التي تعد من الأهداف الرئيسية التي انعقد عليها الإجماع العربي.

* مهام اللجنة:

طبع ونشر المؤلفات العلمية والدراسية والأكاديمية والكتب الجامعية (Text Book). والمترجمة لأعضاء هيئة التدريس التي يرغب أصحابها في نشرها على نفقة الجامعة. ويراعى التوازن في نشر هذه المؤلفات بحيث تغطي مختلف الاختصاصات في الكليات الجامعية.

توجه جميع المراسلات باسم رئيس اللجنة على العنوان التالي:

لجنة التأليف والتعريب والنشر/ جامعة الكويت

ص.ب: 28301 الصفاة 13144 - دولة الكويت

تلفون: 24984566 - 24984571 (965)

البريد الإلكتروني: atpc@ku.edu.kw

الموقع على الإنترنت: www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/atpc

مجلة فصلية أكاديمية

محكمة تعنى بنشر البحوث

والدراسات القانونية والشرعية

مجلة الحقوق



تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

رئيس التحرير

الدكتور/ فيصل عبدالله الكندري



الاشتراكات

في الكويت	في الدول العربية	في الدول الأجنبية
٣ دنانير	٤ دنانير	١٥ دولاراً
١٥ ديناراً	١٥ ديناراً	٦٠ دولاراً

المراسلات

توجه جميع المراسلات إلى رئيس التحرير على العنوان الآتي:

مجلة الحقوق - جامعة الكويت ص.ب: ٦٤٩٨٥ الشويخ - ب 70460 الكويت

تلفون: ٢٤٨٣٥٧٨٩ - ٢٤٨٤٧٨١٤ فاكس: ٢٤٨٣١١٤٣

E.mail: jol@ku.edu.kw

عنوان المجلة في شبكة الإنترنت <http://www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/jol>

ISSN 1029 - 6069



التعاون Attaawun

رئيس التحرير
الدكتور مرزوق بشير مرزوق

صدر العدد الأول

في ربيع الآخر ١٤٠٦ هـ — يناير ١٩٨٦ م

— تقبل الدراسات والبحوث والمقالات ذات الصلة المباشرة بقضايا دول مجلس التعاون في جميع المجالات السياسية والإقتصادية والإجتماعية والثقافية والإعلامية سواء كانت مكتوبة باللغة العربية أو الإنجليزية .

— تشمل على بحث أو دراسة رئيسية إضافة إلى الأبواب الثابتة الأخرى تحت عنوان : بحوث — آراء ووجهات نظر / تقارير / وثائق / عرض كتب / يوميات مجلس التعاون / جيوغرافيا مجلس التعاون / إحصاءات مجلس التعاون

يحررها نخبة من الباحثين والمختصين
يمنح المشاركون مكافأة مالية وفق نظام المكافآت الخاصة بالمجلة

توجه جميع المراسلات الى : رئيس التحرير — مجلة التعاون

ص . ب : ٧١٥٣ — الرياض : ١١٤٦٢

هاتف : ٤٨٨٠٤١٢ (٩٦٦١)

فاكس : ٤٨٢٩١٠٩ (٩٦٦١)

Email : attaawun@gcc-sg.org

KUWAIT JOURNAL OF SCIENCE

An International Journal of the Kuwait University

ISSN 2307 - 4108

A refereed Journal publishes original research in various fields of Basic and Applied Sciences and also Computer Sciences. The Journal is published three times a year by the Academic Publication Council (APC) Kuwait University.

The Journal is indexed and abstracted by major publishing houses such as Chemical Abstract, Science Citation Index Expanded, Mathematical Reviews, SCOPUS, zbMATH, Current Contents, Mathematics Abstract, Microbiological Abstracts, Directory of Open Access Journals (DOAJ) etc.

Annual Subscription

Inside Kuwait:	3 KD 15 KD	<i>for individuals.</i> <i>for establishments</i>
Arab Countries:	4 KD 15 KD	<i>for Individuals.</i> <i>for establishments</i>
Other Countries:	15 US\$ 60 US\$	<i>for Individuals.</i> <i>for establishments</i>

Index to KUWAIT JOURNAL OF SCIENCE is available from the Academic Publication Council, Kuwait University.

All Correspondence and Manuscripts directed to:
Professor Mohammad Afzal, Editor-in-Chief
P.O.Box 17225, Khaldiya 72453, KUWAIT
Tel: (+965) 2481 6261, 2498 4414, 2498 4625, 2498 4456.
Fax: (+965) 2484 6725

E-mail: kjs@ku.edu.kw
Website: <http://journals.ku.edu.kw/kjs>

The Journal is now Printed and bounded in the STATE OF KUWAIT by the Al-Khat Printing Press Company. P. O. Box: 26992 Safat 13130 Kuwait
Tel.: (+965) 24844545 Fax: (+965) 24844949
(Email: info@alkhatpress.com)

The Publications of The Academic Publication Council

Journal of the Social Sciences 1973, Kuwait Journal of Science and Engineering 1974 (Split to KJS, JER 2013), Journal of the Gulf and Arabian Peninsula Studies 1975, Authorship Translation and Publication Committee 1976, Journal of Law 1977, Annals of the Arts and Social Sciences 1980, Arab Journal for the Humanities 1981, The Educational Journal 1983, Journal of Sharia and Islamic Studies 1983, Arab Journal of Administrative Sciences 1991.
--

المجلة العربية للمعلوم الإنسانية

فصلية علمية محكمة تصدر عن مجلس النشر العلمي - جامعة الكويت

ajh بحوث باللغة العربية
ajh بحوث باللغة الإنجليزية
ajh مناقشات وندرات
ajh عروض الكتب الجديدة



رئيسة التحرير

أ.د. نسيمه راشد الغيث

مجلس
النشر
العلمي



ص.ب: 26585 الصفاة 13126 الكويت- هاتف: (965)24817689 - (965)24815453 فاكس: (965) 24812514

P.O. Box 26585 Safat, 13126 Kuwait - Tel.: (965) 24817689 - (965) 24815453 - Fax: (965) 24812514

Email: ajh@ku.edu.kw - http:// www.pubcouncil.kuniv.edu.kw/ajh

مجلة العلوم الاجتماعية

تأسست عام ١٩٧٣م. فصلية. محكمة. تصدر عن مجلس النشر العلمي. جامعة الكويت
تعنى بنشر الأبحاث والدراسات في تخصصات السياسة والاجتماع والخدمة الاجتماعية
وعلم النفس والأنثروبولوجيا والجغرافيا وعلوم المكتبات والمعلومات والأعلام



رئيس التحرير:
د. مها مشاري السجاري

تفتح أبوابها أمام

أوسع مشاركة للباحثين العرب في مجال العلوم الاجتماعية
لنشر البحوث الأصلية والاسهام في معالجة قضايا مجتمعاتهم

ترحب بالدراسات المقارنة وتشجع على التكامل بين مختلف
تخصصات العلوم الاجتماعية

عرض مراجعات الكتب والتقارير وملخصات رسائل ماجستير
والدكتوراه

تتوفر نصوص البحوث كاملة لدى

EBSCO PUBLISHING

و دار المنظومة www.mandumah.com

توجه جميع المراسلات إلى:

رئيس تحرير مجلة العلوم الاجتماعية
جامعة الكويت

ص. ب: 27780 الصفاة، 13055 الكويت

تلفون: 00965 24810436

فاكس: 24836026

jss@ku.edu.kw

E-mail:jsskuwait@gmail.com

الاشتراكات

الدول الأجنبية		الكويت والدول العربية	
أفراد	١٥ دولاراً	أفراد	٣ دنانير سنوياً في الكويت ٤ دنانير في الدول العربية
مؤسسات	٦٠ دولاراً في السنة ١١٠ دولارات لسنتين	مؤسسات	١٥ ديناراً في السنة ٢٥ ديناراً لمدة سنتين

تدفع اشتراكات الأفراد مقدماً نقداً أو بشيك باسم جامعة الكويت أو بتحويل مصرفي لحساب
جامعة الكويت رقم ٠٤٢١٠٢٦٠٨ لدى البنك المركزي في الكويت.

IBN / KW 21CBKU 000000000000004202608

Visit our Website: apc.kuniv.edu.kw/jss

حساب المجلة بالتويتر: @jsskuwait1

حساب المجلة بالاسستغرام: @jsskuwait

Advisory Board

Prof. Basil Hatim

American University
Sharjah United Arab Emirates

Prof. Mona Baker

Manchester University
United Kingdom

Prof. Ibrahim Al-Sa'afin

Department of Arabic Language
and Literature - Jordan University

Prof. Abdul Qader Al-Fasi Al Fehri

Department of Arabic Language and
Literature - Mohamed V University

Prof. Ismail S. Muqlad

Department of Political Science
Assiout University

Prof. Hamdi Hasan Abul Enein

Dean, Faculty of Mass Communication
Misr International University

Prof. Mahmoud Al-Sayed Abul-Nil

Department of Psychology
Ain - Shams University

Editorial Board

Prof. Yagoub Y. Al-Kandari

Editor - in - Chief

Prof. Magdi A. Saleh

Department of Philosophy

Prof. Mohamed F. ALQudah

Department of Mass Communication

Prof. Gassem S. Al-Fuhaid

Department of Arabic Language
and Literature

Prof. Sanad A. Abdulfatah

Department of History

Prof. Hesham F. Gadel Rab

Department of Psychology

Prof. Abdulmuhsen A. Altabtabae

Department of Arabic Language
and Literature

Prof. Taghreed Al-Qudsi

Faculty Member In The Department of
Information Studies Dist, College of
Social Sciences

Prof. Haifa Youssef Al-Kandari

Social Work Department
College of Social Sciences

Dr. Layla M. H. Almaleh

Department of English Language
and Literature

Maha Ibrahim Al-Mas'ad

Acting Editor

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

Issued by the Academic Publication Council - Kuwait University

A REFEREED ACADEMIC QUARTERLY THAT
PUBLISHES MONOGRAPHS ON TOPICS
RELEVANT TO THE SCHOLARLY CONCERNS
OF THE FIELD OF HUMANITIES AND SOCIAL
SCIENCES.

Volume 40, 2020

ANNALS OF THE ARTS AND SOCIAL SCIENCES

A Refereed Academic Quarterly, Published by the Academic Publication Council - University of Kuwait

Palestinians and Native Americans: A Cross Temporal and Spatial Study of International Genocide

Prof. Abdullah Y. S. Mohammad

Dr. Hasan A. A. Johar

Department of Political Sciences, Kuwait University



ISSN: 1560 - 5248

Monograph -546 Volume 40

1440 A.H/2020 (Jun)